الثقافة

أدبية فكرية جامعة تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

FONDATEUR

ET REDACTEUR EN CHEF

Madhat Akkache

هـ ٢٢٩٩٨٤ — P.H 229984

ص. ب/٢٥٧٠/ — B.O.P. 2570

دمشق — DAMAS

تشرين أول ١٩٨٧

محتويات العدد

كافور الإخشيدي ذلك المفترى عليه

بقلم: محمد فتحي الحريري

لا تشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لأنجاس مناكيد

يعد هذا البيت من الشعر الذي هجا المتنبي به كافورا الاخشيدي احد أوسع الابيات الشعرية انتشارا وذيوعا على الالسن ، فلقد كتب له من الخلود والشهرة مالم يكتب لغيره على كثرته ، حتى لقد عده البعض من اشعر ما قالته العرب في الهجاء الى جانب بيت الحطيئة :
فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وان كثيرا من النقاد والدارسين لتاريخ كافور جللوا شخصيته وحقبة حكمه وصدى هذا البيت ، بل شبح تذمر المتنبي منه لا يزال كامنا في نفوسهم مهيمنا على تفكيرهم ، فطغا ذلك على أبحاثهم فخرجت بعيدة عن جانب الحقيقة ، وهكذا اندفع واحد من مثل حنا الفاخوري، في تاريخ الادب العربي لأن يقول في صفة كافور (انه عبد ماكر صاحب خيل) بل وينعته بالتفاهة والحقارة في موضع آخر، ويناصبه العداء غيابيا وكأنه طرف في القضية ، بل وكأن شخصية المتنبي قد تقمصت فيه فراح يصور لنا الرجل خسيسا ، عبدا ماكرا كاذبا .. الخ ..

ولم ار من الكتاب والمهتمين الجدد - الا ما رحم ربي - من حاول ولو مرة واحدة أن يطرد عن ذهنه هذا الشبح - شبح الحقد الاعمى على كافور ، والتعصب الجارف للمتنبي وشعره ، ويحلل الاشخاص تحليلا تاريخيا موثقا بتجرد ونزاهة ، بعيدا عن مقولة اتخذوها اساسا ومنطلقا لابحاثهم وهي قوله " ان العبيد لانجاس مناكيد " وقد علم الجميع ان اللون آية من آيات الله عز وجل ولا يوجد اي ارتباط بين لون البشرة وسلوك صاحبها او اخلاقه ، وان اي دراسة تقوم على فرضية غير علمية وغير صحيحة أصلا انما هي اعتساف محض ، وجدل باطل ، وهذا الاعتساف في الاحكام فضلا عن انه مرفوض، فهو يذكرنا بحكاية قديمة ومفادها ان حكيما امتحن تلاميذه فعمد الى جرة كانت في الشمس وقلبها من غير ان يروه ودعاهم قائلا : اني ارى وجه هذه الجرة المقابل للشمس باردا والبعيد عن الشمس ساخنا كما تلمسون وراح يطالب التلاميذ بتفسير لهذه الظاهرة فطفقوا ينتحلون عللا وهو يردها ، ولما أعياهم سألوه عن رأيه في ذلك فقال لهم : يجب أن نتثبت اولا من صحة الفرضية ثم نبحث عن الاسباب ، وما ترونه غير صحيح اطلاقا ونحن هنا سنتثبت من صحة الفرضية ليس اكثر ، فليس عيبا انقدر شاعرا من خلال شعره ، ونضمر له الاعجاب بأسلوبه وطلاوته ، ولكن العيب يكمن فيما لو رحنا نسرح خلف اوهام ، وخاصة ان الشعراء يجانبون الحقائق دائما في موضوع الهجاء والمديح ويقولون اشياء هم أنفسهم لا يقتنعون بها ، فلا بد اذا من الغربلة والتمحيص والبحث الموثق ، ولا يجوز بحال من الاحوال ان تعتمد الدراسة على نصوص شعرية قيلت في ظروف احتدام النزاع بين طرفين والتسليم بها على علاتها للحكم من خلالها على الطرفين المتنازعين .

فمن هو كافور هذا ؟ وما هي قضيته مع المتنبي ؟

كافور الاخشيدي :

ابو عبد الله او ابو المسك ، الامير المشهوركما يصفه ابن خلدون، في تاريخه ، كان خصيا حبشيا من موالي ابي بكر (محمد بن طفج) الاخشيدي، صاحب مصر اشتراه سنة ٣١٢ هـ بثمانية عشر دينارا فنسب اليه واعتقه فترقى عنده ..
ولما توفي الاخشيد انتقل امير البلاد الى ابنه (انوجور) ظاهرا بينما اصبح كافور هو الحاكم الفعلي ، ثم مات أنوجور سنة ٣٤٩ هـ فأقام كافور اخاه عليا مكانه على ماذكر ابو الفداء في تاريخه ، وتوفي علي بن الاخشيد بعد ذلك صغيرا عام ٣٥٥ هـ فاستقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ ، الى حين وفاته اذ لم يوجد في سلالة الاخشيد من هو اهل لتولي السلطة ، وقد بلغت مدة امارته على مصر اثنين وعشرين عاما منها عامان واربعة اشهر تولاها مستقلا وكان وزيره في فترة حكمه الوزير المشهور، ابن الفرات ..
أما عن مناقب الرجل : يحدثنا ابن (تغري بردى) صاحب النجوم الزاهرة انه قام بتدبير المملكة احسن تدبير ، ووصفه ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان ويحيى العامري في (غربال الزمان في وفيات الاعيان) انه كان من اكبر قواد الاخشيدي لعقله الراجح ورأيه وشجاعته ، وقد قال عنه الذهبي (كان عجبا في العقل والشجاعة " وبمثل هذه الاقوال قال السيوطي في تاريخ الخلفاء وغيره من اصحاب التاريخ والسير ، ولم تقع يدي على اي مرجع وثائقي الا وهو يثني على صاحبنا ايما ثناء ، فلقد كان وبحق رجل دولة ، التفت الى شؤون مملكته اصلاحا وتنمية بفطنة وذكاء وحسن سياسة واقتدار ،أخباره في السياسة والشجاعة واقامة العدل كثيرة ، ومازالت همته وقوة شخصيته تصعد به حتى ملك مصر بكاملها والشام ، وكان يدعى له على المنابر في مكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام منذ توليه الى وفاته ، ويكفيه هذا فخرا وبراءة من كل اتهام باطل ..
نحن لا نشك ان الرجل ليس معصوما ولكل هنات وزلات ، ولكن يجب ان ننصف الرجل فما كانت هناته يوما لتقعد به عن اقامة العدل او تخرم اخلاقياته وشرف حكمه ، والوثائق التاريخية التي بحوزتنا تؤكد ذلك ..

حكايته مع المتنبي :

أبو الطيب المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤)، شاعر قحطاني معروف ، تنبأ في بادية السماوة بين بني كلب الذين بهرهم بكلامه وفصاحته فسمي بالمتنبي وقدتبع دعوته كثيرون ، وقبل ان يستفحل امره خرج اليه امير حمص ونائب الاخشيد (لؤلؤ) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه ، أما قبل ذلك فقد كان في الكوفة وفر منها سنة ٣١٢ هـ بعد ان استولى عليها القرامطة وعاد اليها ليتصل بأحد أعيانها واسمه ابو الفضل الكوفي القرمطي فتشرب الشاعر بهذا المذهب مما دعاه الى الثورة في السماوة مرتين وقد اتسمت ثورته بطابع سياسي ديني خاص ، وادعى النبوة ، حتى قهره الاخشيد كما أسلفنا ، وبعدها توجه المتنبي - مالىء الدنيا وشاغل الناس - كما قال عنه ابن رشيق ، الى مصر يحمل آمالا عريضة بولاية يوليه اياها كافور ، وفي ذلك تحقيق لأطماعه وأحلامه في السيادة التي لم تبارحه سحابة حياته فراح من أجل ذلك يدبج المدائح الحسان يعلقها أوسمة وشارات عرفان على صدر كافور .
فلقد امتدح سياسته ، وحنكته وعدالته ، وشكله ، امتدحه كله ..
وقبل أن أنتقل للحديث عن الصراع بين الرجلين ، لابد من وقفة مع فلسفة المتنبي وسلوكه في الحياة ، من اجل ان نعقد مقارنة عادلة وفق مقتضيات المنهج العلمي الفقهي في التاريخ ، فالمتنبي كما نعرف كان مصابا منذ حداثته بهوس العظمة وحب السيادة والتفرد ، كان فخورا ومعتدا بنفسه لدرجة الغرور ، أليس هو القائل مثلا عن قصيدة من شعره :

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم

الله اكبر ، أية نرجسية تلك ؟ ؟
ولا يأخذ احد علينا استشهادنا بالشعر هنا للحكم على طرف من طرفي النزاع وهو ما تعهدنا بعدم اللجوء اليه مقدما ، فالمرء غير متهم على نفسه ..
ولقد كان شاعرنا كثير التسفار والترحال لتحقيق اهدافه التي أرقته وشغلته ، فشغلنا ، ولا بد ان ننصف الرجل هنا فقد كان صاحب طموح :

واذا كانت النفوس عظاما
تعبت في مرادها الاجسام

امتدح الوزير البويهي ابن العميد (٣٣٧ - ٣٦٦ هـ) وعضد الدولة الديلمي في شيراز وأبا فراس الحمداني في حلب ، أما عن ثقافته فكان مثقفا ، تأثر بفلسفة ارسطو ، واما عن قيمة عقيدته فقد أخذت عليه مآخذ كثيرة أهمها فساد ذوقه وشذوذه العقائدي وقلة احتفاله بالمقدسات ، أوليس هو قد تنبأ كما أشرنا قبل قليل ؟ والامثلة على ذلك كثيرة من شعره قبل التنبؤ وبعده ، منها قوله مادحا :
متى ما يشر نحو السماء بوجهه
تخر له الشعرى وينخسف البدر

وقد قيل عنه انه الم بكثير من النحل الشائعة في عصره من غيران يعتقد بواحدة كالمانوية والمجوسية وذلك مجاراة لممدوحيه ، وكذلك ذكره للاسلام في شعره الذي يمدح به سيف الدولة ، اي انه (ميكافيللي الاسلوب) ، وان ذكره للاسلام بخير هوفقط الذي يجعلنا نتوقف عن الحكم عليه بالزندقة ، ولكننا في الوقت نفسه لا نستطيع على الاطلاق ان نقول بأن عقيدته كانت سليمة .

مقارنة :

ان انتقال المتنبي الى البلاط الاخشيدي ، وضعنا امام نموذجين من الرجال ، نموذج الجدية والهمة العالية وحسن السياسة ممثلة بكافور الاخشيدي ، ونموذج مختلف من الطموح والغرور ممثلا في شخص المتنبي ، طموح يستعذب كل شيء ويسخر كل شيء حتى الاستهتار والمديح والتآمر من أجل اشباع حاجة نفسية معينة على أننا لا نرى في هذا الكلام اي انتقاص من مكانة المتنبي الشعرية (كشاعر) امتلأ شعره بالبلاغة والبيان ، وأظن أن ابن خلدون قد نفاه من هيكل الشعر العربي انطلاقا من هذه الرؤية ..
انقضت سنتان ولا يزال المتنبي حالما بالسلطة ، ولعل فطنة كافور وحنكته أبت عليه ان يولي السلطة شاعرا مختلف الاطوار غارقا في حب السيادة الى حقويه فشعر ابو الطيب او ان كافورا قد اشعره بجفوة ، فانحاز الى قائد اخشيدي اسمه (فاتك ابو شجاع) ثم ترك مصر سنة ٣٥٠ هـ (٩٦٢ م) اي قبل تفرد كافور بالسلطة بخمس سنوات ، ولكنه تركها غاضبا يهجو كافور هجاء مرا ضمنه كل مافي نفسه من حقد وحنق وخيبة أمل فهو يقول مثلا :
سادات كل اناس من نفوسهم
وسادة المسلمين الاعبد القزم

ولك ان تحكم الان - بعد ان وقفت على القضية ، وعرفت شيئا عن الطرفين - وتعرف ان شاعرنا قد تجنى كثيرا واشتط في هجائه بل وأسف في كلماته ، استمع اليه يسخر من بنية كافور وشكله وهو أمر لا كسب للمرء فيه :
وتعجبني رجلاك في النعل ، انني
رأيتك ذا نعل ، اذا كنت حافيا
فان كنت لا خيرا أفدت فانني
أفدت بلحظي مشفريك الملاهيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة
ليضحك ربات الحداد البواكيا

فأي مستوى هذا الوصف ؟ ان ينعت أميرا (بالجوكي) المضحك يتعاوره الناس ويأتون اليه من أبعد البلدان من اجل اضحاك النساء الثكالى ؟ ولكن مستوى حقد المتنبي أسف به الى منسوب أحط عندما قال :
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم
الا وفي يده من نتنها عود
لا تشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لانجاس مناكيد
ماكنت احسبني احيا الى زمن
يسيء بي فيه عبد وهو محمود
جوعان يأكل من زادي ويمسكني
لكي يقال : عظيم القدر مقصود
أولى اللئام "كويفير" بمعذرة ،
في كل لوم وبعض العذر تفنيد

ولكننا بعد هذا التطواف بين المتنبي وكافور لا نجد شاهدا على مكانة كافور وفطنته أصدق من شهادة المتنبي نفسه فقد حكى قائلا :
" كنت اذا دخلت على كافور أنشده يضحك لي ، ويبش في وجهي الى ان أنشدته :
ولما صار ود الناس خبا
جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن أصطفيه
لعلمي أنه بعض الانام

قال المتنبي : فما ضحك ابو المسك بعدها في وجهي الى ان تفرقنا فعجبت من فطنته وذكائه " ولعل البداية كانت

من هذه النقطة .
وشاهد اخر على حسن ذوق كافور وترفعه اضافة الى دقة جوابه وروعته وبلاغته ، هو انه قال لما سمع بهجاء المتنبي له ، " من ادعى النبوة ألا يدعي الملك ؟ " أجل ويدعي أكبر من ذلك ، وحسب كافور هذا الفخر والترفع عن مبادلة المتنبي مهاتراته التي هي في الواقع احد اودية الشعراء التي بها يهيمون .

لكل أجل كتاب :

اما المتنبي فقد قتله شعره ، وهو عائد الى الكوفة من بلاد الديلم (شيراز) اذ عرض له فاتك بن ابي جهل الاسدي فاقتتل الفريقان ، وكان قد عزم المتنبي على الفرار (فقال له غلامه مفلح : أوتهرب وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم ؟

فعاد المتنبي فكر عليه فاتك وقتله هو وغلامه وابنه (محسد) منتقما لنفسه من شاعر كان قد هجاه وهجا خاله ضبة بن يزيد الاسدي .

اماكافور ، صاحبنا المفترى عليه ، الذي ألصقت به تهم المكر والخداع والاستيلاء على السلطة و .. و ((وهو منها جميعها برئ) فقد توفي سنة ٣٥٦ هـ يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الاولى بمصر على ما ذكر العامري وابن خلكان وابو الفداء ، وقال غيرهم توفي سنة ٣٥٧ هـ وهو مارجحه الزركلي في موسوعته (الاعلام) وقد دفن بالقرافة الصغرى بالقاهرة ، وقيل حمل تابوته الى القدس ودفن هناك ، وكان تقدير عمره خمسا وستين سنة ، ووقع الخلاف فيمن ينصب بعده ، واتفقوا اخيرا على ابي الفوارس احمد بن علي الاخشيدي حفيد الاخشيد الاول ..

جريدة المراجع

١ – ابن خلدون ٤: ٣١٤
٢ – وفيات الاعيان : ابن خلكان ١ :٤٣١
٣ – غربال الزمان في وفيات الاعيان لابي بكر العامري .
٤ – المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ٢ : ١٠٧
٥ – النجوم الزاهرة : ابن تغري بردى ٤ : ١ – ١٠
٦ – تاريخ الادب العربي : حنا فاخوري.
٧ – موسوعة الاعلام : للزركلي .
٨ – ديوان ابي الطيب المتنبي .

محمد فتحي الحريري

هل الحقيقة مستقلة عن وعي الانسان

حوار بين طاغور وإينشتين

ترجمة : ديمتري ايفيرينوس

مناقشة بين رابندارانات طاغور والبرفيسور البرت آينشتين عصر يوم الرابع عشر من تموز عام ١٩٣٠ في مقر اقامة البروفيسور في كابوت .

آينشتين : هل تؤمن بالالهي معزولا عن العالم ؟

طاغور : ليس معزولا فالشخصية اللانهائية للانسان تنطوي على الكون ، وما من شيء لا يمكن ان يصنف من قبل الشخصية الانسانية وهذا يثبت ان حقيقة الكون هي حقيقة الانسان ، لقد اخذت واقعه علمية لأوضح هذا – تتكون المادة من بروتونات والكترونات ، مع ثغرات تفصل بينها ، لكن المادة قد تبدو صماء ، وعلى نحو مشابه تتكون البشرية من أفراد ، ومع ذلك فبينهم تواصل من العلاقات الانسانية الامر الذي يمنح تضامننا حيا لعالم الانسان ، ان الكون بأسره متصل بنا على نحو مشابه . انه كون انساني . لقد تعقبت هذه الفكرة عبر الفن والادب ، والوعي الديني للانسان .

آينشتاين: هناك تصوران مختلفان حول طبيعة الكون : (١) العالم كوحدة متوقفة على الانسانية ، (٢) العالم كواقع مستقل عن العامل البشري ،

طاغور : عندما يتناغم كوننا مع الانسان مع الابدي ، فاننا نعرفه كحقيقة ونشعر به كجمال .

آينشتين : ان هذا لتصور للكون انساني محض .

طاغور : لا يمكن ان يكون ثم تصور آخر ، ان هذا العالم عالم انساني والنظرة العلمية اليه كذلك نظرة الانسان العلمي هنالك معيار ما من العقل والمتعة يمنحه مصداقيته ، معيار الانسان الابدي الذي تتم تجاربه من خلال تجاربنا .

آينشتين : ان هذا تحقيق للكينونة الانسانية .

طاغور : اجل ، انه تحقيق للكينونة الابدية ، يتوجب علينا ان نحققها من خلال انفعالاتنا ونشاطاتنا ، نحن نحقق الانسان الاسمى الذي ليس له حدود فردية من خلال حدودنا ، ان العلم معني بما ليس محصورا بالافراد ، انه العالم الانساني اللاشخصي للحقائق ، اما الدين فهو يعي هذه الحقائق ويصل بينها وبين حاجاتنا الاعمق ، ان وعينا الفردي للحقيقة يكتسب بذلك مغزى شموليا ، الدين يطبق القيم على الحقيقة ، ونحن نعرف الحقيقة كخير من خلال تناغمنا الخاص معها .

آينشتين : الحقيقة ، اذن ، او الجمال ، ليسا مستقلين عن الانسان ؟

طاغور : لا .

آينشتين : اي انه لو لم يعد هناك من بشر ، لما عاد ابولو بيلفيدير جميلا "

طاغور : لا .

آينشتين : اوافق على ما يتعلق بهذا التصور للجمال ، لكن ليس على ما يتعلق بالحقيقة .

طاغور : ولم لا ؟ فالحقيقة يتم تحقيقها من خلال الانسان .

آينشتين : ليس بوسعي ان اثبت صحة تصوري لكن تلك هي ديانتي .

طاغور : الجمال هو مثال التناغم الكامل القائم في الكائن الشامل ، والحقيقة هي الادراك الكامل للعقل الشامل ، نحن الافراد نبلغه عبر اخطائنا وتخبطاتنا ، عبر تجربتنا المتراكمة ، عبر وعينا

المستنير – والا فكيف لنا ان نعرف الحقيقة ؟

أينشتاين : ليس بوسعي ان ابرهن علميا على ان الحقيقة يجب أن يتم تصورها كحقيقة صحيحة مستقلة عن الانسانية لكنني أومن بذلك بقوة ، اعتقد ، على سبيل المثال ، ان نظرية فيثاغوراس في الهندسة تقرر شيئا صحيحا تقريبا يستقل عن وجود الانسان ، على كل حال ، اذا كان ثم واقع مستقل عن الانسان فهناك ايضا حقيقة تتناسب وهذا الواقع ، وبالطريقة ذاتها فان نفي الاول ينجم عنه نفي لوجود الثانية .

طاغور : الحقيقة ، هي واحدة مع الكائن الشامل ، ينبغي ان تكون انسانية في الجوهر ، والا فكل ما ندركه نحن الافراد كحقيقي لا يمكن ان يدعى حقيقة ابدا على الاقل الحقيقة التي توصف بكونها علمية ولا يتم بلوغها الا من خلال سياق منطقي ، وبكلمات اخرى ، من قبل أداة للافكار بشرية .

وبحسب الفلسفة الهندية هناك براهمان ، الحقيقة المطلقة التي لا يمكن تصورها بعزل العقل الفردي او وصفها بكلمات ، بل تحقيقها بدمج الفرد في لانهائيتها دمجا كاملا ، لكن حقيقة كهذه لايمكن ان تنتمي الى العلم ، ان طبيعة الحقيقة التي نحن بصددها مظهر – اي ما يبدو حقيقيا للعقل البشري ، وهي بالتالي بشرية ، ومن الممكن تسميتها مايا ، او الوهم .

أينشتين : اذا بحسب تصورك ، الذي قد يكون التصور الهندي ، ليس هذا الوهم وهم الفرد ، وانما وهم البشرية ككل .

طاغور : في العلم نتبع نهج اقصاء التحديدات الشخصية لعقولنا الفردية وبهذا نبلغ فهم الحقيقة ذاك القائم في عقل الانسان الشامل .

أينشتاين : ان المسألة تنطلق مما اذا كانت الحقيقة مستقلة عن وعينا .

طاغور : ان ما ندعوه حقيقة يكمن في التناغم العقلاني بين المعلمين الذاتي والموضوعي للواقع اللذين ينتميان الى الانسان الفوق – شخصي .

أينشتاين : حتى في حياتنا اليومية نشعر بأنفسنا مرغمين على ان نغزو واقعا مستقلا عن الانسان الى الاشياء التي نستخدمها نقوم بذلك لنربط بين تجارب حواسنا على نحو منطقي ، فعلى سبيل المثال ، اذا لم يكن هناك أحد في هذا المنزل ، تبقى هذه المنضدة مع ذلك حيث هي .

طاغور : نعم ، انها تبقى خارج العقل الفردي ، لكن ليس خارج العقل الشامل ، فالمنضدة التي أدركها قابلة للادراك ، بالنوع نفسه من الوعي الذي أمتلكه .

أينشتاين : ان وجهة نظرنا الطبيعية فيما يتعلق بوجود الحقيقة بمعزل عن البشرية لا يمكن ان تشرح او يبرهن عليها لكنه اعتقاد لا يعوزه احد على الاطلاق ، ولا حتى الكائنات البدائية ، نحن ننسب الى الحقيقة موضوعية فوق – بشرية ، لا غنى لنا عن هذا ، هذا الواقع المستقل ، عن وجودنا وتجربتنا وعقلنا – مع اننا لا نستطيع ان نقول ماذا يعني .

طاغور : لقد أثبت العلم ان المنضدة كشيء أصم ، مظهر ، وأن مايدركه العقل البشري بالتالي هو منضدة لم تكن لتوجد لو لم يكن العقل موجودا وفي الوقت نفسه ينبغي ان نعترف بأن الواقعة ، بأن الواقع الفيزيقي النهائي للمنضدة ان هو الا جملة من المراكز المنفصلة الدائرة للقوى الكهربائية ، ينتمي كذلك الى العقل البشري .

انه في فهم الحقيقة صراع ابدي بين العقل البشري الشامل والعقل نفسه المحدود في الفرد . والسياق المتواصل للمصالحة مستمر في علمنا وفي فلسفتنا ، وفي اخلاقنا ، على كلحال ، اذا كان من حقيقة غير مرتبطة بالبشرية على الاطلاق ، فهي اذاك غيرموجودة بالنسبة الينا على الاطلاق .

ليس من الصعب ان نتيخل عقلا لا تجري لديه تعاقب الاشياء في المكان ، انما في الزمان فحسب مثل تعاقب انغام الموسيقى، ان تصور عقل كهذا للواقع مماثل للواقع الموسيقي الذي تصبح فيه الهندسة الفيثاغورية عديمة المعنى ، هناك واقع الورق ، المختلف تماما عن واقع الادب . فبالنسبة لنوع العقل الذي تمتلكه العثة التي تأكل الورق ، الادب غير موجود على الاطلاق ، ومع ذلك فان للادب قيمة للحقيقة أعظم من الورق نفسه لدى العقل البشري ، وعلى نحو مشابه ، اذا كانت حقيقة ما ليس لها علاقة حسية او منطقية مع العقل البشري ، فانها ستبقى وكأنها لا شيء طالما اننا لا نزال بشرا .

أينشتاين : انا اذن اكثر تدينا منك .

طاغور : ان ديانتي هي في المصالحة بين الانسان الفوق – شخصي ، الروح الانساني الشامل ، فيكياني الفردي الخاص ..

ترجمة : ديميتري افيرينوس

الصمت حجارة تفتتو

قصة: محمد المنصور الشقحاء

أقف على هام الدنى. أعلن اسمك فقد يتعرف أحدهم عليك فيقوم بارشادي الى مخبئك. اني مسجون منذ عشرة آلاف عام في جوف اليم. أبحث فيها عن محارة. عن صدفة تتناسب وموقفك.

الرفض سوط عذاب جاء مقتحماً المواكب. لأقف مشدوهاً أمام بوابة المدينة ودمعة صغيرة تنحدر فوق خدي. هنا ناسي.. هنا أنت انما عليّ أن أعلن الرحيل حتى أعود الى ذاتي التائهة في معابر العدم..

- هل تأتين معه..؟

- أنا..!

كان الانبهار في أول الأمر صادماً. واذا بي أتقزم أتحول الى هشيم أخذته الرياح عابثة دون ارادة الى الجهات الأربع ليكون الضياع وها أنت تطلين من جديد..

- انها مخطوبة..

- أجل لقد تقدم لها من كنت واسطة لديه لمساعدتها في تحصيلها العلمي..

- ولكن قررت مؤخراً الرفض..!

- لم تعد تعي ما تريد..!

وأخذت أضحك. انه الموقف الموسس الذي يسترق من وجودنا الضياء. أخذت أضحك لأنني كنت المعبر الذي خلق هذه المقولات. وكانت الاشاعة رجساً أخذ يلاحق من أعرف ومن لا أعرف ليقتحم الوجود غاز مقنع أخذ يوجه بندقيته في جميع الاتجاهات خاطفاً الأرواح دون تميز. وقد ارتسمت في مخيلته مذبحة العرب في فلسطين. واحدهم يعلن عن تبرعه بآلاف الدولارات لانقاذ مجموعة من الفيلة في غابات افريقيا المهددة بالموت من جراء الجفاف.

ووصلني صوتك. هذه المرة لم يكن حالماً ولم يكن به خدر. يسألني عن صحة الاشاعة. ولماذا طلبت منك الحضور. اسئلة كثيرة ارتسمت في مخيلتي أخذت أبحث فيها عن جواب صحيح..

- عمر.. هل قرأت هذه القصيدة..!

- أجل... اعجبت بها انها الأسم أشاهده لأول مرة..

- محرر الصفحة لم يشر الى ذلك..

- وهل قرأت زاوية الردود في الصحيفة..

- لم يرد ذكر.. الاسم..

كان الاسم حائراً. هل هو حقيقي أم مزيف لأن العمل مكتمل بكل معانيه.. واذا بصوتك يذكرني بذلك الاسم. وكنت فعلاً هي. لم يكن الاسم مستعاراً ولم يكن الموقف حلماً..

- هل تأتين معه..!

وكان قولك باندهاش. أنا. المعول الذي هشم البناء الجديد..

وتقتحم الموقع جرافات مجهولة الهوية. ورجال مقنعون أخذوا يهيلون التراب على الجثث المتعفنة ويهدمون أسوار المخيم المهجور. أمام عدسات التلفزيون وأضواء آلات التصوير. وآلاف من مراسلي وكالات الأنباء والصحف والاذاعة. وصوت جهوري يصف الموقف كلهم يسجلون كلماته. كلهم يتابع شفتيه وحركات يديه. ولم يلاحظ الجميع حينها أنه كان متصلب الأطراف عيناه من زجاج لا تتحرك وانها بدون بؤبؤ وانه قد نزل من عربته المكشوفة وهو واقف في مكانه. لم يغير وجهته لم يحرك قدميه..

ولم يلاحظ الجميع أنهم في انسجامهم غير المنظم تركوه بين الآثار تصفعه الرياح بقسوة بعد أن انهارت كافة المواقع. امتد النظر الى البعيد الفضاء خال لم يعد لدينا سوى الصمت. أعبث به بين لحظة وأخرى حتى أخذ الصداع يحطم رأسي بمناجله.

- انهم.. يحتفلون بها زوجة..

- وأنا..

- أنت ماذا..

- انني الزوج القادم من خلف الفيافي من وقف على هام الدنى معلناً عن اسمها..

- اذا هو أنت..

ولم أعد أدرك ما حولي. أخذت الأيدي تدفعني.. عصب أحدهم عيني بعصابة سوداء وقيد آخر معصمي خلف ظهري. وأخذت المهمة تخفت وأنا أسير في طريق طويل رغم الحذر لم يعترضني مانع أو حاجز وتذكرت صوتك.. تذكرت الناطق الرسمي ذا الصوت الجهوري. تذكرت أنهم يحتفلون بالزواج.. فأخذت أحرك يدي. فاذا بها حرة فأخذت أفرك مقلتي.. لم تكن هناك عصابة..

لم يكن هناك ناس..

انها ظلام دامس يطوقني وورقة بيضاء مكومة في دي اليسرى عليها بداية كلمة.. لم تتكون ورنين هاتف يصلني من أعماق بئر.

بنت عدنان

زكي قنصل

زفرة في محراب العربية سنة ١٩٦٥

بدمعة اليأس على غصت بنت عدنان ... روحي فدى قطرة من دمعها القاني
يا آل ودي - والامال تجمعنا - ... هلا استجبتم لشكواها واشجاني ؟
لأنتم خير من يرجى لنجدتها ... لاخاب ظني في الجلى باخواني
تغربت معكم في كل دسكرة ، ... ورافقت سعيكم في كل ميدان
كانت وسيلتكم للمجد ترفدكم ... بعدة النصر من صبر وايمان
كانت لكم وطنا في دار غربتكم ... تحدو خطاكم وترعاكم بتحنان
كانت تبث الى الاوطان شوقكم ... وتحمل الشوق من اهل واوطان
فلا تخونوا لها عهدا فليس لها ... الاكم سندا في ربعها الثاني
تكاد تحرق اضلاعي بزفرتها ... وتزرع اللهفة الظمأى باجفاني
قالت - وقدعصفت ريح السموم بها ... وعضها من صروف الدهر نابان
لم تنكروني لما كنت كابية ... لا تنكروني في عزي وسلطاني
جددت ما شاخ من عزمي وعافيتي ... وانساب " نوار " في جذعي فاحياني
لم يستطع مدفع الغازي ونقمته ... ان يهدما - رغم طول العهد - بنياني
ولا استطاع الالى في نفسهم مرض ... ان يزرعوا الشك في حسني واحساني

وسعت فلسفة اليونان وازدهرت … حضارة الفرس في حقلي وبستاني
اخذت منهم ولكني رددت لهم … فضلا بفضل وعرفانا بعرفان
وقلت قلبي وديواني لمن ظمئوا … فليشرب الناس من قلبي وديواني
وحين اظلمت الافاق واضطربت … فجرت انوار انجيلي وقرآني
فكيف تسلمني للموت جالية … ترقى لعدنان او تعزى لغسان ؟
ان تهملوني فلن تجدي متاجركم … لولاي كنت كتابا دون عنوان

يا بنت عدنان ان الليل يعقبه … مهما ادلهم ومهما طال - فجران
فلا تنامي على يأس ولا وجل … اليأس والخوف للاخرى طريقان
اني لأسمع عبر الافق زغردة … فاستبشري بغد يا بنت عدنان

وداع

قفا ودعا قلبي ، أما لكم قلب ؟ … وحيدا سأبقى في دياجيك يادرب
تعالوا تروا آنات عمري تكسرت … بلوعة ذكراها ، المواويل يا رب
سحبت ذيول الليل ظمآن حالما … وحرقة أشواقي ، قناديلها تخبو
أسير علي جمر النوى ضائع الهوى … وجرح بعمق الصدر ، ألوانه رعب
فما بالها العشرون يحرقها غدي؟ … وترمقني سكرا ،فمالي لا أصبو؟

رضوان حزواني

قبسات من الأدب المهجري

محمد زهير الباشا

الشاعر : نبيه سلامه – البرازيل
نفحات شعرية اختارها وقدم لها
نعمان حرب
منشورات دار مجلة الثقافة

عربي المنى والهوى والفؤاد

---

* الغربة : اتون عذاب .. وتوق لا ينضب.. غاب الشاعر نبيه سلامه عن ارض الوطن خمسة وثلاثين عاما ، وما غاب عنه حبه للارض بل ظل حنينه نبعا صافيا متدفقا يجمع بين جوانحه كل الينابيع الصغيرة. نسمي الشوق الى الديار حنينا سرمديا . والحنين لهفة ولوعة ومواعيد واحلام .. لكنه الالتحام بالتقرب منه ، والعيش من اجله ، وبالتعرف على احداث الوطن تترك انفاس وصدور ، وتهتاج لتكون انفاسا علوية وصدورا نقية..

سمة كبرى في ادب المهجريين هذا الحنين الذي وحد مابين الشاعرواهله ، وما بين الشاعر والارزاء في ارصفة الذكريات ، يعب من خمرة هذا الحب ، ما ينسيه اشواك الزمن الاغبر في عهد الاحتلال الفرنسي .. فكان شعره وحنينه وحبه واضحا في كل نغمة حملت مرارة (القيم) التي جابهت الشاعر في غربته .. ولم يستسلم ليأس ولم يدع حبه لوطنه بين المد والجزر والرياح المتقلبة .. بل وقف وصمد تجاه منابع الريح ، والجوى خفقات جمر في فؤاده .. يحدث وطنه .. يناجيه .. ولا يتركه رمزا ، مجهولا على عتبة التاريخ .. فالتعالي بالنفس وبالوطن لغة واحدة وتلاحم فرد وتوحد وشرط ضمن هذه التجربة الذاتية – عن بعد – وهي تمتد الى الوطن لتحميه من عاصفات الاستعمار والعنصرية و

فكانت قصائده امتدادا لهذه التجربة تتكلم بلهجة الثائرين على الضيم..وتقرأ قصائده فتحدثك بحرارة العاشق وصدق الزاهد ، وانسانية المفكر ، ورحابة صدر ام مغرقة التعلق بأبنائها ..وتبدو .. صفحات الخصب التي تزين هواه وغزله في عالم مألوف ليس فيه من عالم السحر الا فنه حين سكبه قصائد ومناجاة للعروبة وعلى مراقي من مشاعر تصوير للواقع الملموس بأحاسيسه المرهفة التي حولت هذا التلاقي الى افكار صاغها في عالمه بالبداهة والفطرة والحواس لابالاستدلال، والافتعال :

أغالب ثورة الانواء وحدي
كأن سفينتي تجري لتعسي
أعيش مع المحيط ولست منه
كأني قد أذنت لهم بحبسي
أود لقاء من اهوى بعيني
مللت لقاء خلاني بطرس
مغاني العرب مالكة خنيني
وسان باولو تضم رفاق انسي

فهذه السينية مَعْلَمٌ بارز فيما ورد للشاعر من قصائد .. تذكرك بسينية البحتري وشوقي .

وتظل حبات الدموع الدفينة مثارة لكل جفن قرحته عاصفة الغربة .. فعلى الاهداب صبر وجمر في الليالي المبحرة الى الهموم .. وكأن خياله يسمو على الانواء

فيتوق الى الغزل .. ففي الغزل سوانح افكار هي السنابل والاهازيج .. لكن الغربة بخصائصها وتطلعاتها واحلامها وزفرات المرارة ، تبقى مصدر احزان وعزلة في اي دار .. دون ان تبعثره غيوم الاعاصير وكانت نبضاته في صور الحنين اشواقا ملتاعة ..
وصفاء في دنيا المادة وقسوة الظروف في دنيا الغربة ، اما في الدوير ومحردة وحمص والعاصي فيقول ويردد :

*وبدت بدور الفاتنات فارجعت
لنفوسنا الالاء والايناسا
*اذا ماذكرت غواني حمص
فقد قلت للطهر ان ينحني
*خمائل وشى الاله حلالها
فكادت تشد اليها النظر
تهاجمها الشمس عند الصباح
وترشق بين الظلال الزهر
*ونهر تملك في جنبيها
يرويه بالادمع الطاهرة
*بلاد تمشت عليها العصور
وظلت تتيه بأحلى صور

ويخاطب علم الحرية الذي رفرف على ربوع سورية ، مخاطبة الواثق بشعبه الفخور بنضال هذه الامة حتى ازاحت عن صدورها نير الاجنبي وارتسمت على الشفاه بسمات العزة والكرامة ، وتشع نور الحرية في كل ناحية وفي خيال فني صور الاستعمار واحابيله :

كأن افعى على تفكيرهم جثمت
تبث سما ويطلي سمها الدسم
والشعب ضاق بنير الاجنبي وفي
احشائه جذوة الارهاق تحتدم
وجاء يوم ونار الثورة اندلعت
فارتاع من هولها الطاغون وانهزموا
فكان ذلك اليوم يوم النصر والعدل:
وجلجلت صرخات النصر داوية
فأسمعت كل من في اذنه صمم
ورفرق العدل ، واشوقي الى بلد
في ظله يتآخى الذئب والغنم

*

وهذه الغربة حلم لا ينضب في ترادفه التوتر والنفس المثاير في ترصده للاعصاب التي تروي قصة الصبر والتصابر :

وان قلت الجنان فحمص اعني)
(وقف بجوار عاصيها وغن)
(كالطير يثقله النعيم بسجنه
ويفر تواقا الى اعشابه)

من للغريب وقد نأى عن وطن
ذاق اللذيذ العذب من اطيابه
أيصد مشتاق وينعم نازح
والقلب مشدود الى اترابه

لغته ورموزه ..:

مشاعر نبيه سلامة تمازجت بدقة افكاره فأوجز في القول وجاءت لغته متناهية بالايحاء فوظفها بوضوح لتكون اواصر الصلة بين الشاعر والوطن والموقف واضحة موحية معتمدة على تجربة الحواس .

* اخالنا وصلات الحب موثقة
طير ين في دوحة الميماس قدلعبا
غدا تعود الى الاجفان حرقتها
ويفقد الصب مالاقى وما كسبا

وترسم اخيلته في قصيدته (زفرة وداع) اكثر خصائصه اللغوية ورموزه ، وتأملاته وتلميحاته وترويها ابياته بكل بساطة وترسل وهي مرتبطة بلمعة البصيرة وخطف اللمعة بجرس عذب ونغم بصري :

* وكم تمرس بالاوجاع منفردا
فاستل من نفسه ما يسحق الوجبا
ان المهاجر طيرا كمه قفص
وعندما حطموا اغلاله سجعا
كم شكونا الطوى همسا لأنفسنا
وطبق الكون شكو الرمي والشبعا
وأصبحوا تنطح الدنيا منازلهم
وبت في ظل كوخ كاد ان يقعا

ويضج الشاعر بالشكوى وقد صدمته الحياة في ارض الغربة بأشواكها ، وتخاطفته الاحلام وهو يقلب صفحات الكون بلغة الارادة واندفاع العزم ، فلم يلاق سهلا ولا نجما فتمرس بالاوصاب والالام :

* ياللغريب وقد شاخت عزيمته
ماذا استفاد من المال الذي جمعا

لغة الايحاء عنده ليست لغة الانباء المقننة ، بل هي لغة التواصل الهاربة من قبضة الواقع المرير في الغربة والحلم والتوق الملتهب .. فكانت مواصفاته انتماء للوطن حبا ، وهوى فؤاده غزلا مبرحا ، فارتسمت هذه اللغة برموزها صورا بصرية وتصريحا منطلقا من ذاكرة هي الرهبنة في صومعة الحب طالبة صكوك الغفران من ذاته الصافية دون التجرد لحظة ما عن هذا الحب وهذا الغضب وقد ظللته بعض من اجواء الاستاذ الاكبر ابي الطيب المتنبي ، ومن سيد

المطبوعين ابي نواس فالشاعر نبيه سلامة يقول :

* انا الذي عجم الدنيا ولذتها
وذاق من خمرها مايسكر العنبا
قضيت رائق عمري في تناولها
وما برحت الى تكرارها سغبا
* لا تجزعي مما الم بعارفي
هذا ضرام فؤادي المستعر
* قالوا وهذا الثوب قلت سحابه
ياما احيلى الشمس خلف سحاب
* جليسك في الشراب ابو نواس
وحبك من هوى عمر أشد
صحبت البحتري على صعيد
يمدك بالبديع ويستمد

ويوجز في سوانحه قدرته على العطاء فالتقى الحدس بتجربة للحواس متأججة الصورة في (الفقيرة الغنية)

* مررت وكان مدمعها صبيبا
لما قاسته من ألم وفقر
فقلت لها اقصري، ايكون فقرا
ومن عينيك يجري نبع در

ويشوق القارئ قصائد نبيه الشاعر في " اعذب واحة " ، وفي قصيدته (فتح الاندلس " وفي " الممرضة " التي رتلها ابراهيم طوقان في " ملائكة الرحمة " .

ذلك ان الادب المهجري يعتبر مثالا حيا في نتاج عربي هو انعطاف في التأريخ الادبي له سماته وخصائصه .. وكل من الشعراء الذين روىعنهم وقدمحياتهم مع نفحات من شعرهم الاديب نعمان حرب .. قاموا بالمسؤولية الادبية كاملة فأعطوا من احاسيسهم الصادقة هذا التمازج الحي بين الشاعر ووطنه ..
ان حب الوطن ارتباط وتلاحم وتوحد .. ولنا بالعودة دائما الى هذه القبسات لنعيش رحابة الرؤى ، وخصب العاطفة في انفاس سماوية ..

محمد زهير الباشا

الموسيقا والغناء في الشعر العربي

ياسر حميده

لعل اول ما يلفت نظر القارئ للشعر العربي هي تلك الرنة الموسيقية الرائعة التي فيه متمثلة جداً تمثيل في اوزانه الشعرية الموسيقية الستة عشر والتي اكتشفها الخليل الفراهيدي وكذلك في وحدة الحرف الاخير من البيت وللشعر العربي تاريخ طويل مع الموسيقا والغناء العربيين .

وان من ينظر في الشعر الجاهلي وهو اول عصر للشعر العربي - الذي بين ايدينا يحس احساساً كاملاً بعمق موسيقاه الجميلة فيه حتى في أصعب هذا الشعر وأكثره تعقيداً ، وهو غنائي لما يضم من مقومات موسيقية ويصح ان نطلق على الشعر الذي استمر يغنى من العصر الجاهلي الى العصر الحديث اسم الشعر الغنائي وهو كثير في العصر الجاهلي ولعل اول مظاهر هذا الشعر الغنائي هي الاراجيز حيث تعتبر اقدم شعر وجد في تاريخ الادب العربي لقدم بحر الرجز حيث عد هو اساس كل البحور الشعرية كما يروى . حيث شهد العصر الجاهلي هذا النوع الشعبي من الغناء الذي تكون قصائده منظومة على بحر الرجز .

وقد شاع في الجزيرة العربية كلها هذا النوع من الشعر الغنائي لانه كان يلبي اذواق كل القبائل فقصائده ذات لغة عامية بحسب لهجته كل قبيلة وكذلك لحاجة السكان اليها حيث كانوا يستخدمونها في الحداء للابل ويسمى منشدها للابل بالحادي ويستخدمونها كذلك عند السقي من الابار واستخدامات اخرى . وهذه الاراجيز تمثل الادب الشعبي للعصر الجاهلي ولشعبية هذه الاراجيز ماتت معظمها بموت اصحابها ولم تدون لنا اية اراجيز جاهلية وقد كان يجري غناء هذه الاراجيز موافقا لحركات اقدام الابل وكانت هذه الاراجيز تشبه العتابا البدوية في هذه الايام وكأن بينهما اتصالا وثيقا .

وقد اعتبر الجاهليون ان تعلم الغناء والموسيقى ضرورة من ضروريات الشاعر لرفع مستواه ولذلك فقد ارتبط الشعراء بالغناء فتعلموه قبل الشعر وذلك لعدم معرفتهم بالاوزان الشعرية فيتطلب من الشاعر ان تكون عنده اذن موسيقية مرهفة ليعرف صحيح الشعر من مكسوره ، ويروى ان اقدم شعراء العربية المهلهل قام يتغنى بقصيدته التي مطلعها :

طفلة ما نبة المحلل بيضا
ء لعوب لذيذة في العناق

وغناء الشعراء في العصر الجاهلي ليس غريبا ولا بعيدا فأمرؤ القيس يقول في اعجاب النساء بصوته :

يرعن الى صوتي اذا ما سمعنه
كما ترعوي غيظ الى صوت أغيبا

ولا يغيب عن البال في هذا الموضوع ذلك الشاعر الذي كان ينشد شعره ضاربا على آلة الصنج حتى لقب بصاجة العرب وهو الشاعر الاعشى ميمون وهو يذكر الصنج في شعره فيقول :

ومستجيب تخال الصنج يسمعه
اذا ترجع فيه القينة الفضل

ثم لا تلبث ان نرى شعراء يدعون بعضهم بعضا للتغني بالشعر فالغناء هو مطلب كل الشعراء كما يقول حسان بن ثابت :

تغن بالشعر اما كنت قائله
ان الغناء لهذا الشعر مضمار

كما يروي ان عنترة بن الشداد قال في معلقته معبرا عن اجتياح الشعراء للطرب والغناء :

هل غادر الشعراء من مترنم
أم هل عرفت الديار بعد توهم

ولم يقتصر غناء الشعر على الشعراء أنفسهم فقط وفي المجالات والمواضع الانفة الذكر بل انتشرت في الجزيرة العربية ودور الملاهي والمغنيات والقيان انتشارا واسعا وكانت هؤلاء المغنيات ينشدن الشعر ضاربات على الدفوف وتردد وراءهن مجموعات من النساء وكان يحدث هذا في السلم والحرب والاعياد ومناسبات عديدة وكان بعض الشعراء يعتمدون على بعض المغنيات من اجل ان يغنين اشعارهم كما يروى عن امرئ القيس حيث كانت لديه قينتان تنشدان شعره .

وهكذا جرت العادة في الشعر الجاهلي وهذا ما يثبت لنا تماما بأن الشعر العربي نشأ نشأة غنائية كما كان يصحب هذا الشعر بالغناء والموسيقى فهو شعر غنائي تام .

وأهم مظهر سيبقى يواجهنا في الشعر الجاهلي هو القافية التي كانت واضحة الصلة بضربات المغنين وايقاعات الراقصين .

والمظهر الثاني هو الوزن الموسيقي الذي استطاع الخليل الفراهيدي بعد ذلك ان يستخلص منهما الابحر الشعرية الستة عشر، وهذا المظهر هو الرقم الموسيقية التي كانت مقدمة للاوزان الشعرية .

وهكذا يتبين لنا ان الموسيقا والغناء كانتا من مقومات الشعر الجاهلي الذي لم يعرف الاوزان بعد بل كانت الآذان الموسيقية المرهفة هي العامل الاول في اعطاء الشعر هذه النغمة الموسيقية ، وكما يقول المرزباني :
" وكانت العرب تغني النصب وتمد اصواتهما بالنشيد وترن الشعر بالغناء" ومع قدوم موجات الفتح الاسلامي وبعض شرائعه التي تحرم السماع للمعازف والمزامير وغناء النساء ولانصراف الناس الى الدين الجديد والتمعن به انطفأت جذوة الغناء الشعري الذي كان متأججا يمارسه كل الشعراء بشتى الصور ولكنهم انصرفوا في هذه الاونة الى تمجيد الرسول (ص) وفتوحاته عدا بعض المقطوعات الشعرية التي قام الناس يرددونهما في بعض المحافل والمناسبات وكانت هذه المقطوعات في اغلب الاحيان يرافقهما الضرب على الدفوف وكانت بعض المغنيات ينشدن الشعر في المعارك تشجيعا للرجال والبسالة ومن هذه المقطوعات التي غنتها هند بنت عتبة في معركة احد :

ان تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وكذلك المقطوعة التي انشدها الانصار في استقبال الرسول (ص) عند الهجرة الى المدينة :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

ولم يتاح للشعر الغنائي الظهور الا بعد انقضاء عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين من بعده وذلك للاسباب الانفة الذكر من محاربة الاسلام للغناء واللهو ولانصراف الشعراء الى امر الفتوحات الاسلامية المتتابعة شرقا وغربا .

وكان للشعر الغنائي دورا بارزا في حياة بعض شعراء العصر الاموي ومغنيه فقد كان لانتقال العاصمة الى دمشق اثر على الشعر الغنائي حيث شهد هذا العصر لونا جديدا من الوان الشعر العربي وهو الغزل وهو ليس جديدا في موضوعه ولكنه جديدا في شكله واخص بهذا الشعر العذري وعندما اقول جديدا فأنا محق ، محق بهذا والسبب ان بعض الشعراء في هذا العصر قد امتهنوا هذا اللون مهنة قل ان ينظموا في لون آخر وهم ليسوا كالشعراء الجاهليين الذين كانوا ينظمون الغزل في مواقع معينة دون سواها فقل ان نجد قصيدة جاهلية كاملة موضوعها الغزل .

ونستطيع القول ان ظروف نشأة

الشعر الغزلي في هذا العصر هي نفسها الظروف التي دعت الى قيام الغناء والموسيقى معه منجديد حيث يقول احد النقاد المحدثين "وعندي ان الوجوه التي دعت الى قيام الغزل هي التي دعت الى قيام الغناء والموسيقى" فتعلق الشعر الغزلي بالغناء والموسيقي وقد انقسم الشعر الغزلي الى قسمين في العصر الاموي :

أولا : الغزل العذري : وقد كان هذا الغزل مثالا للحب الذي استمد مقوماته من شرائع الاسلام وكان حبا نقيا طاهرا فكان غزله الشعري مثله في النقاوة والطهر وقد حمل لواء هذا الشعر جميل بثينة وكثير غزة وما الى ذلك من الشعراء الذين مارسوا هذا الحب الطاهر .

ثانيا : الغزل الصريح وهو الغزل الذي استمد مقوماته من بعض الشعراء الجاهليين كامرئ القيس وطرفة بن العبد وقد كان هذا الغزل يتناول المرأة مظهرا جسمانيا لاشعوريا واحساسا ويتزعم هذه الطائفة من الشعراء عمر بن ابي ربيعة والاحوص والعرجي والشكل الثاني هو المهم في موضوعنا حيث تعلق هذا الشعر بالغناء والمغنين تعلقا شديدا وقد قام الغزل الصريح على ارض الحجاز ونما وترعرع فيها وكانت موطنا مهيأ لظهور هذا اللون لما تمتعت به من موقع متوسط ولكثرة الشعراء فيها وشيوع اللهو والترف لابتعاد الحجاز عن كرسي الخلافة في دمشق الذي كان لايزال ينهج شيئا من نهج الاسلام من بعض القسوة على شعراء اللهو والمجون والمغنيين في بداية امر الدولة الاموية وقد نشأ شعراء هذا الغزل متأثرين بمن سبقوهم من شعراء الخلاعة والمجون فجاء هذا اللون عكس الغزل العذري تماما ، فلقي المغنيين في غزل الحجاز مادة سهلة المنال فانتشرت موجات الغناء وكثر المغنيين في الحجاز مثل ابن سريح ومعبد وكذلك المغنيات مثل سيرين وسلمى ورائقة وعزة الميلاء صديقة عمرو بن ابي ربيعة حتى غدا الشعر جزءا لا يتجزأ من الغناء لما كان يحوي هذا الشعر من احساسات ومشاعر وعواطف فوجد المغنون في هذا الشعر مرادهم وخصوصا في الغزل الصريح فقاموا يلحنونه ويغنونه حتى ان ابن سريج كان يتردد على عمرو بن ابي ربيعة يطلب منه شعرا ليغنيه وكانت جميلة وهي احدى المغنيات تتردد على الاحوص من اجل الحصول على الشعرلتغنيه حتى طغت فكرة الشعر الغزلي الذي يحتاجه المغنيين على باقي الوان الشعر العربي ومن خصائص هذا الشعر الغنائي في العصر الاموي : ان شعراء هذا العصر قاموا بتقصير القصائد وجعلها مقطوعات كما كانوا لا ينظمون الا على الابحر القصيرة السهلة والمجزوءة لتوافق الأكان التي ستوضع لها وقد دفعت الموسيقى الشعرية الشعراء الى اصطناع الالفاظ العذبة السهلة لارضاء أذواق المستمعين .

وقد بلغ هذا الغناء الشعري الذروة عند بعض الشعراء الامويين ومنهم في القمة عمرو بن ابي ربيعة حتى ليقال انه كان يحتفظ في بيته بمغنيتين تغنيان اشعاره هن نعوم واسماء .

ولم يكن شعره الغنائي يشيع في مكة فقط بل تعداها الى المدينة فغنى شعره معبد وجميلة فأصبح من اول الشعراء الغنائيين في عصره حتى ان ابن سريج ما يكاديفارقه وهو يأخذ منه شعرا ليلحنه وعمرو يقول فيه :

قالت وعيناها تجودانهما
وحبت والله لك الراعي
يابن سريج لا تدع سرنا
قد كنت عندي غير مذياع

ومثل ابن سريج كان الغريض المغني فقد كان يرافق عمرو بكل مكان واضافة الى ذلك فقد كان عمرو نفسه يتردد على دور الغناء واللهو وكان هناك شعراء آخرين يشاركون عمرو هذا الشعر الغنائي ولكنهم كانوا أقل جودا من عمرو فأخذ المغنيين أشعارهم وغنوها ، ومن عجيب الامر ان هؤلاء المغنيين لم يقبلوا الى الغزل العذري النقي الطاهر الذي شاع في المكان نفسه الذي شاع فيه الغزل الصريح مع ان العذري كان اصدق عاطفة واحساسا وفيه من المشاعر المتأججة مالم يكن في الغزل الصريح .

واستمر الشعر الغنائي على هذا النمط من الامتداد بين المغنيين والشعراء بل وقد تعدى الشعر الغنائي الى قصور الخلفاء الامويين فقد امتلأت قصورهم بالمغنيين والمغنيات لما بلغته دولتهم من غنى مالم تبلغه امبرطورية قبلهم ولانصراف بعض الخلفاء الى اللهو والغناء حتى نرى قصر الخلافة في عهد يزيد بن عبد الملك يمتلئ بأنواع المغنيين والمغنيات واللهوو المجون

فنشأ ابنه الوليد على هذا الجو المفعم فبالاضافة الى خمريات الوليد المشهورة كانت له قصائد نظمها على البحور الشعرية القصيرة ثم لم يلبث ان غناها بنفسه اذ كان " عازفا محسنا يحسن اللعب على اوتار العيدان والتوقيع على الطبول والدفوف وله اصوات مأثورة في بعض اشعاره "، وقد كان الخلفاء الامويين لايرضون بالغناء الشامي المنحط ولارضاء اهوائهم واذواقهم كانوا يستقدمون المغنيين والمغنيات من الحجاز وهذا ما يثبت لنا مصداقية القول : ان الحجاز هي منبت الغناء العربي .

وقد حظيت الاراجيز في هذا العصر بنصيب كبير من عناية الشعراء فقد شاعت في كل مكان وكان لها شعراءها ولكنها لم تعد ذلك اللون الشعبي الذي كان في الجاهلية اذ كان هناك اهم تحول في قصائد الرجز وهو رفع هذه القصائد من بيئة الشعب الى بيئة المثقفين وقد تم ذلك على يد العجاج وابنه روبة ، كما اطالوا قصائده فلم تعد مقطوعات قصيرة حتى ان العباسيين استعملوا الرجز الاموي في شعرهم التعليمي نتيجة لما ضم من الغرائب اللغوية ، وكان من نتائج هذه الاحداثات الهائلة ان جعلت للاراجيز مكانة عالية بين قصائد الشعر فلم تعد للغناء والحداء وما الى ذلك لما يواجه المغنيين فيه من التعقيد في الالفاظ .

وقد برع في هذا الفن من الامويين العجاج وابنه روبة وابو النجم العجلي وكان هؤلاء الشعراء يمارسون الرجز دون غيره ومنهم من كان يجمع بينه وبين القصيد مثل جرير وذو الرمة .

ولا يغيب عن البال في هذا الموضع من دارسة لموسيقا الشعر العربي تلك الثورة الشعرية العظيمة التي قام بها الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) لانقاذ موسيقا الشعر العربي من الضياع وسط ذاك الضجيج الهائل من الالسنة الاعجمية التي اختلطت بالالسنة العربية والتي بدأت تقول الشعر المكسور والغير موزون على موسيقاه القديمة فقام الخليل بدافع من عبقريته يمحص ويبحث ويدون في اشعار العرب واخبارهم الادبية حتى خرج في الاخر بستة عشر بحرا اعتبرت الاوزان الموسيقية لشعر العرب وكما تذكر كتب التراث بأنه كان للخليل يدا طويلة في الموسيقا والغناء ولولا ذلك لما امتلك هذه المقدرة لاكتشاف الابحر الشعرية وابن خلكان يقول عن الخليل " وله معرفة بالايقاع والنغم وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض فانهما متقاربان في المأخذ " فهو يضع الموسيقا موضع المقوم الاول للاوزان الخليلية والاوزان هي احدى مقومات الشعر العربي وهي خلاصة الموسيقا في هذا الشعر كما يقول ابن رشيق في " العمدة " وزعم صاحب الموسيقا ان الذ الملاذ كلها باللحن ان الاوزان قواعد الالحان .

والاشعار معايير الاوتار لا محالة " ومما سبق نستطيع القول انه لولا معرفة الخليل للموسيقا وقواعدها لما استطاع استنباط الابحر الشعرية المعروفة .

وهكذا كان العصر الاموي مفتاحا لباب عظيم من ابواب الشعر الغنائي في العصر التالي .

ومع قدوم الرايات السوداء من خراسان معلنة عن قيام عهد جديد اكثر ترفا ولهوا ومجونا قدمت معها موجة من الغناء الشعري اعظم واقوى مما سبقتهما لما اصاب هذه الدولة من ترف ومجون فانتشرت دور الغناء مع دخول العناصر الاجنبية بين صفوف العرب وقد كان للغناء في هذا العصر شأنا عظيما لما كان يلقاه من تشجيع وترغيب من قبل الخلفاء العباسيين ومعروف ان الغناء انتقل من الحجاز الى بغداد في الكوفة واواخر العصر الاموي حيث بدأت وفود المغنيين تستقدم الى الشام ومنها انتقلت الى العراق حتى اصبحت بغداد دارا كبيرة للغناء لكثرة المغنيين والمغنيات فيها الذين جاء بهم المهدي وباقي الخلفاء من كل مكان ومن كل صوب واصبح الخلفاء ينثرون المال على المغنيين نثرا من اجل امتاعهم بأصواتهم الرقيقة الناعمة علما ان العراقيين كانوا يكرهون الغناء كرها شديدا بينما نرى الحجازيين يتعصبون له اما في هذا العصر فقد انقلبت الاسس فصار للعراق شأنا كبيرا في الغناء .

وقد تواصلت علاقة الشعراء بالمغنين على ما كانت عليه في العصر الاموي الذي كان مفتاحا لعصر الانفتاح على الغناء والفنون والاعجمية من فارسية ويونانية حيث تداخلت هذه الفنون مع الاداب العربية فكانت من نتائجها توسيع ارضية الموسيقا والغناء بما ادخلته هذه العناصر من ادوات موسيقية جديدة وادخال الوان كثيرة من الالحان ، فكان العصر زاخرا بالمغنيين كما سبق وقلنا . وتبقى صلات المغنيين بالشعراء كما هي فنجدهم

يلتفون حول بشار بن برد والمغنيات يجالسنه ويأخذن منه اشعاره من اجل الغناء وما ذلك الا تواصلا بين عمرو بن ابي ربيعة الاموي وبشار بن برد العباسي المخضرم ، وهما من اصحاب مذهب واحد هو الغزل الصريح اللذان كانا ينظمان فيه ولذلك لاقت اشعارهما اقبالا واسعا من قبل المغنيين ومثل بشار في العصر العباسي كان الكثير منهم مطيع بن اياس وحماد عجرو وابو نواس الذي كان يقضي يومه كله بين المغنيات والراقصات والخمر وما جاء ذلك كله الا نتيجة شيوع الترف في البلاد فلم يعد هناك ضابط يضبط الاباحيات ولم يسهر خليفة للقضاء على هذه المظاهر وخصوصا في عصر ضعف الدولة العباسية مما ادى في اواخر الامر الى الانحدار في الاخلاق والاداب .

كما كان من اثار العصر العباسي ايضا شيوع اللهجات العامية التي انتشرت في المدن والقرى المتحضرة مما ادى الى تفشي هذه اللهجات في الشعر الغنائي العربي حيث لا تزال اثاره ، موجوده الى الان ومما يلفت النظر في العصر العباسي هو غياب الاراجيز في الادب العباسي حيث قل لشاعر عباسي ان ينظم ارجوزة فكان قدر الاراجيز فيه ضئيلا جدا ، فلم يتاح له الظهور حتى عهود الموشحات والازجال .

اما في بلاد الاندلس فقد قامت ثورة شعرية غنائية استطاعت ان تأخذ مكانا في الادب العربي وهي نظم الموشحات وقد كانت هذه الموشحات عبارة عن مقطوعات شعرية اعتمدت على الاوزان - الشعرية العربية المستخدمة منها والمهملة ويمكن ان تكون تطورا للمسمطات والمخمسات التي عرفت في العصر العباسي الاول والموشحات من اندلسي محلي اعتمد على اللغة السهلة البسيطة وهو بعيد عن التعقيد وقد عمت هذه الموشحات كل الجزيرة الخضراء وكان لها مغنياتها ومغنيها ولكن النقد لم يهتموا بهذه الظاهرة كثيرا لخروج بعضها على العروض ولاعتماد بعضها على اللهجة المكية وقد مارس هذا النوع الكثير من شعراء الاندلس كما انبثق عن هذه الموشحات من آخر أقل منها ادبا وهو فن الزجل حيث اخذت هذه الموشحات بالانتشار في كل انحاء الاندلس فأخذها اهل بعض المدن ونظموا منها على طريقتهم المحلية وكل بلهجته فنشأ فن الزجل فاتسعوا فيه بالبلاغة . كما كان لهذا الفن المغنيين والمغنيات وكان لها شعراؤها ومن هذه الموشحات الاندلسية هذا الموشح ليحيى بن بقي القرطبي يقول في مطلعه :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى
ألم الوجد فلبت آدمعي
أيها الناس فؤادي شغف
وهو من بغي الهوى لا ينصف
كم اداريه ودمعي يكف
أيها الشادن من علمكا
بسهام اللحظ قتل السبع

وقد غابت الموشحات عن الوجود اثر خروج العرب من الاندلس في عام ٨٩٧ هـ وذلك لمحاربة المسيحيين للاسلام واللغة العربية بواسطته محاكم التفتيش التي قامت في كل انحاء الاندلس .

وفي الشرق وعلى اثر سقوط الدولة العباسية وتتابع الزحف الاستعماري على الوطن العربي انصرف الشعراء الى توجيه جهودهم وشعرهم نحو الشعر القومي المقاوم للاستعمار وهمجيته ، وقد خمدت نار الشعر الغنائي فترة من الزمن نتيجة لهمجية الغزوات الاستعمارية وانصراف الشعراء الى الشعر المقاوم ثم لم تلبث هذه النار ان اشتعلت من جديد في ظل الاستعمار بطابع اخر اكثر قوة واقل تعقيدا وكان ذلك طابع الاناشيد القومية التي تلهج بها الالسن معبرة عن رفضها للاستعمار وعن حاجتها للثورة وقد كان لهذه الاناشيد مركزا مرموقا بين افراد الشعب العربي وكانت هذه الاناشيد حماسية جريئة تنظم على البحور لكن ما يشاع منها تلك الاناشيد المنظومة على البحرو القصيرة حيث هي سريعة الحفظ والتلحين اما الحانها فكانت تأتي به اصوات الشعب المتكاتفة وقل ان تستخدم الموسيقى في هذا النوع من الشعر الغنائي فجاءت هذه الاناشيد ملبية لحاجة الشعب المغلوب على امره الذي كان يهتف بهذه الاناشيد في كل حين وقد شاع هذا النوع من الشعر الغنائي في بداية الغزو المغولي للدول العربية عام ٦٥٦ هـ اثر سقوط بغداد بيد هولاكو حتى كان للشعب العربي ما يريد فخرج الاستعمار المغولي عام ٩٢٢ هـ بعد ان ضرب طوقا على العرب للانفتاح على الخارج فلحق الاغنية الشعرية مالحقها من الانحدار نتيجة لاقتصار الشعراء على تأليف الاغاني القومية وترك مادونها .

وفي عام ٩٢٢ هـ ومع قدوم جيوش التخلف العثمانية القادمة من الشمال

والتي حاربت كل انواع التقدم بأي مجال تدنى مستوى الاغنية الشعرية كثيرا حتى لم يعد لها صوتا بأي مكان فكان محتما عليها ان تضيع وسط هذا التخلف الذي تبغيه الجيوش العثمانية ، وفي اواخر هذه الدولة وفي خلافة محمد علي في مصر بدأت السلطة الحضارية بالانفتاح بما أرسله محمد علي من بعثات شرقية الى الغرب فكانت هذه البعثات تعود محملة بأنواع من الحضارة الاوروبية التي كان محمد علي ينوي اقامتها في مصر وكان من هذه الحضارات ادخال الادوات الموسيقية الغربية واقامة النوادي الموسيقية من اجل الغناء فعادت للاغنية الشعرية مكانتها في هذه النوادي فكانت تلاقي اقبالا من قبل الامراء والخلفاء واصحاب السلطة العليا اما الشعب فما كان يأبه لهذه الامور بسبب صعوبة المعيشة وبقي للنوادي الموسيقية هذه الاهمية بعد محمد علي حتى توجت بافتتاح الاوبرا في القاهرة فبدأ يرتادها الشعراء والمغنيين .

وفي عهد الاستعمار الاجنبي على الدول العربية كان للاغنية الشعرية القومية ميزانا خاصا بها ولعبت دورا كبيرا في تحقيق الشعور القومي المتكاتف بين ابناء الدول العربية حيث كانت سرعان ما تنتشر الاغاني المحملة بعبق الوحدة والحرية واكثر ماتكون مكتوبة بالفصحى كما كانت بعض الاغنيات تطالب بالجلاء عن البلاد وكان صوتها قويا وصارما وشعراءها يلاقون التكريم ويوضعون في الصف الامامي من الثورات وكان لكل ثورة شاعر ينشد القصائد ويردد الثوار وراءه بنوع من التنغم فيها حتى تحقق الجلاء الفعلي عن الارض العربية كاملة . وبعدها بدأت المطالبة بتوحيد الامة العربية وقد دخلت الالات الموسيقية ميدان الغناء والفت الجوقات وكثر المغنيين ومن هذه الاناشيد القومية هذه الانشودة التي كانت تتردد بكل مكان ويقول مطلعها :

بلاد العرب اوطاني
من الشام لبغداد
ومن نجد الى يمن
الى مصر فتطوان

كما دخل هذا النوع من الشعر الغنائي الميدان العسكري بنوع من القوة والصلابة واصبحت كل دولة عربية تأخذ انشودة رمزا لها يسمى " النشيد الوطني" وهي مؤلفة على كافة البحور وهي سهلة الالفاظ جريئة تستخدم الموسيقا المتنوعة فيها .

وفي الزمن المعاصر شاعت انواع عديدة من الشعر الغنائي حيث ادخلت الالات الموسيقية وكثر المغنيين فكان الشعراء ينظمون الشعر على كافة الابحر وبعض المغنيين اخذوا الشعر القديم او الحديث وغنوه .. واصبح للغناء عدة اشكال جمعت من التاريخ كله وسندرسهما كل واحدة لوحدها .

الشكل الاول يتمثل بالاغنية الشعرية العريقة وهو الشعر العمودي الذي بقيت الفاظه تستخدم الفصحى واوزانه من الابحر الطويلة او القصيرة وشعراءه من كبار الشعراء والمجيدين وقد ظهر هذا الشكل في بداية عهود الاستقلال واستمر حتى الان رغم قلته .

وقد كان لهذا الشعر المغنيين والمغنيات كما كان له شعراء واستخدمت الادوات الموسيقية المنوعة في الحانه لكنه جاء ملبي للذوق العربي الرفيع في مجال الغناء ، ومما يستحق الذكر في هذا المجال انه كانت هناك علاقة وثيقة بين الشعراء الكبار والمغنيين مثلما كان بين الشاعر الكبير احمد شوقي ، والموسيقار محمد عبد الوهاب وقد لمع في هذا النوع من الشعر الغنائي المطربة المصرية ام كلثوم التي غنت الشعر العمودي لشعراء من العصر الحديث كالاطلال لابراهيم ناجي ، سلو كؤوس الطلا لاحمد شوقي ، من اجل عينيك عشقت الهوى للامير عبد الله الفيصل ، ولم تقتصر على غناء الشعر الحديث بل غنت لشعراء قدامى مثل اراك عصي الدمع لابي فراس الحمداني ورباعيات الخيام كما قام بعض المغنيين بغناء مقطوعات شعرية قديمة كما في العتابا العراقية المشهورة لناظم الغزالي .

وقد اخذ الشعر الغنائي الحديث شكلا ثانيا لم يعرف الا قليلا ويكاد ويكون تواصلا بين الاراجيز القديمة واراجيز العصر الحديث وذلك كان يتمثل في المسرحيات الغنائية التي كان لها شعراءها وممثليها على المسارح وكانت اشعار هذه المسرحيات منظومة على بحر الرجز العريق وقد برع في هذ النوع من الشعر الغنائي الشاعر احمد شوقي ومن مسرحياته الغنائية مسرحية مجنون ليلى ،

وتوت عنخ امون والبرلمان كما تواصلت مسيرة الموشحات الاندلسية في هذا العصر فعادت الى الوجود بعد غياب طويل، ونقب المطربون عنها وبقيت على بساطتها ولم تتعقد سواء في الموسيقا او الالحان فموسيقاها خفيفة قليلة الالات والحانها هادئة ولم يطرقه هذا الباب الغنائي الا عدد قليل من المطربين الذين ارتبط اسمهم بهذا النوع من الغناء .

ومن الملفت للنظر فيما قلناه ان مصر قد احتضنت هذه الالوان بكاملها ووفرت لها جو الانتشار في انحاء الوطن العربي وشجع الحكام الوان الغناء فكانت القاهرة ومصر عموما بديلا عن بغداد التي انطفأ وميضها منذ خراب هولاكو الذي لحقها .

وفي هذا العصر شاع نوع جديد من الشعر الغنائي لم يسبق له مثيل في تاريخ الادب العربي وقد لا يستحق ان يسعى هذا الشعر الغنائي الذي يدعونه " شعرا " لكن احدا لا يعترض على تسميته شعرا بل وانه كان لهذا النوع اناس ادعوا الشعر واطلقوا على انفسهم اسم " الشعراء الغنائيين " وهو يكاد لا يقارب الشعر لعدة اشباب منها استخدام اللهجات المحكية في كل بلد للنظم في هذا النوع كما انه لا يتقيد بالاوزان الخليلية تماما ولا الستة عشرة ولا توابعها وافكار اشطره متباعدة ولا رابط بينها ، ولذلك لم تكن هذه الاغاني سوى الحانا وهذا النوع من الغناء يعتمد على الشعر الحر المحكي في مادته وابتعد مطربوه عن الشعر التقليدي ولا اقصد بالشعر الحر ذلك الذي يستخدم الالفاظ الفصحى ويتقيد بالاوزان قليلا وان كان منظوما كالشعر الحر مثل شعر بدر شاكر السياب .

وبعد هذا البحث القصير عن الاغاني الشعرية والشعر الغنائي لا نملك ان نقول سوى ان الاغنية الشعرية حافظت على جمالها كما هو حتى الى اقرب زمن لولا ظهور الاغنيات المحلية لكل بلد والتي غمرت ارجاء البلاد العربية شرقا وغربا مما ادى الى رداءة الاغنية العربية وسقوطها في المهاوي

ياسر عبد الوهاب جميدة
سورية ـ دير الزور

طلب انتساب للمقاومة

قصة : صلاح محمود

لم يكن يخفى على طارق انهم يتحاشوه ويبتعدون عنه . اذا اقترب منهم وهم يتحدثون صمتوا ، واذا اراد ان يشاركهم في هرجهم ومرجهم برموا شفاههم ، حديثهم اليه مقتضب ،وعلاقتهم معه لا ترقى الى مستوى عامل يشتغل مع مجموعة من العمال تربطه بهم صلات كثيرة .

يتساءل طارق والالم يعتصره : ما ذنبي .. ماذنبي .. بأي حق اؤخذ بجريرة خالي ..

أبو سليم ، بدأ عاملا عاديا ثم ارتقى الى رئيس نوبه ثم الى رئيس مقسم ، كل ذلك في مدة لا تتجاوز الخمس سنوات ، بينما بقي من دخل معهم الى المعمل عمالا مياومين معرضين في كل لحظة للطرد .

أبو سليم يدعي انه جدير بمنصبه :
اذا عملت عملا فأحب ان اتقنه .. هل رأيتموني يوما اتأخر .. هل رأيتموني يوما انصرف قبل الميعاد . هل رأيتموني يوما اتلكأ في عملي واضيع الوقت ، اما بقية العمال فيعرفون لم يحظى بكل تلك الرعاية .

ان ثقافته وتزلفه وجدت اذنا صاغية لديهم .. وشايته على العمال رفعته في عمله .. وتجسسه على اخبارهم جعلت سلطات الاحتلال تدرك الفوائد التي ستجنيها من ورائه .

يعرف العمال ان ابا سليم غارق حتى اذنيه في ذاته .. انه لا يرى فيهم الا اقزاما مشوهة ، قلبه المصفح بالكراهية والبغضاء لا يعرف مثلا ولاقيما انه يرى في كل عمل يقف في وجه الاحتلال طيش صبياني ينبغي تجنبه .

ما بال هؤلاء يخلقون في وجوهنا المتاعب ماذا يريدون ؟
كل شيء متوفر لهم ، يتقاضون راتبا ويعيشون في رغد وطمأنينة . ويسارع ليؤكد نظريته .

نحن العرب قطيع لا يفهم الا بالعصا .. أتذكرون ايام الحكم العربي ..
اتذكرون الفوضى والمحسوبية ، لعلكم لم تنسوا ما كان يفعله بنا ابو شاكر وازلامه .. لنحمد الله على ما نحن فيه .
كل ذلك لم يكن يخدش مشاعر العمال ولا يرف رموشهم اما ان يقف ليعطيهم دروسا في الوطنية فهذا مالم يستطيعوا احتماله .

يا جماعة .. ياجماعة .. اننا باخلاصنا في عمل نقطع على سلطات الاحتلال اي حجة لطردنا .. ان القوة بايديهم ونحن لا حول لنا ولا قوة .. ينبغي ان نسايرهم من اجل اوطاننا واولادنا ..
قال له احدهم بغيظ :

كفاك يا ابا سليم .. دعنا وشأننا .. واعفنا من وصاياك .. اننا نعرف ما نقوم به.

في اليوم التالي لم يحضر ذلك العامل الى العمل . سيق الى مقر الحاكم العسكري للتحقيق معه .

ومع ان طارق لم يكن يوافق خاله على اعماله . الا انه لم يستطع ان يكسر ذلك الحاجز الذي وضع بينه وبين العمال بحكم قرابته اليه . كان طارق يعرف ان خاله وكما لمحت له امه مرات واسع الذمة بحيث يستطيع ان يأكل كل شيء في سبيل مصلحته .

لكن ..

- ما ذنبي .. كان يئن ..

- ماذا افعل كي اثبت لهم اني لست مثله ..

عندما طرد عامل اخر ، بسبب مشاحناته مع ابي سليم ، عبر طارق عن استيائه لكن احدا لم يعره اي اهتمام .

أمسك بتلابيب احدهم :

- ارحموني يا ناس .. ارحموني .. ماذا فعلت ؟ ماذا افعل ؟

- حقا .. انك لا تستطيع ان تفعل شيء ..

تجرأ طارق ان يقول لخاله وعلى مسمع منهم :

كيف تواجه ربك غدا وانك سبب في قطع ارزاق الناس ..

ونفخ ابي سليم : انهم يستحقون يا بني

- خالي .. كيف ترتجي خيرا من اولئك .

- لا تدع الافكار الشيطانية تؤثر بك يا بني .

رئيس خلية المقاومة في العمل اوعز لرجاله ان يجسوا نبض طارق ويتأكدوا من سلامة نواياه .

راقبوه .. كانت كل شهاداتهم تأكد ان طارق ذو حس انساني سليم وانه مستعد ان يفعل اي شيء ليثبت ذلك .

ولكن هل يقبل بالمهمة ؟ هذا ما جعلهم يترددون في مفاتحته به .

ان العمل الذي يقومون به يجعلهم حريصين اشد الحرص ، كان كل شيء لديهم بحساب ودقة .

ازدادت عنجهية ابو سليم ، تكاثر أذاه ، اصبح عبئا ثقيلا على العمال . اصبح كابوسا على سكان مدينته ، اصبح خطرا على المقاومة .. في مكان تحت الارض رحب رئيس المقاومة بطارق الذي لم تسعه الدنيا عندما أبلغ بذلك لفرط سروره واستبشاره .

يستطيع الان ان يطمئن .. يستطيع ان يقدم خدمة لوطنه ..

- اتريد الانتساب للمقاومة .

- اهذا سؤال ام اتهام.

- وتقسم على ذلك .

- أقسم .

- وتقسم انك ستقوم باية مهمة تناط بك.

- أقسم .

- اتعرف عاقبة الحنث به .

- الموت .

- حسنا .. وتشاغل قليلا .. اليك المهمة الاولى . نريدك ان تقتل ابا سليم ..

ودارت الدنيا في عيني طارق . ..

لم يكن يتوقع ان يكون الامتحان بهذه الصعوبة .. سأله رئيس الخلية :

- ألا يستحق الموت ؟

فكر طارق للحظات .. نعم ..

- اذن فأنت له ..

- ولماذا انا ؟

- أنت تعلم مدى الحماية التي يوفرها له الاحتلال ، لا نريد ان نفقد بطلا بخائن ، انت بحكم قرابتك منه تستطيع ان تصطاده بيسر دون اشتباه .

خيم صمت ثقيل لدقائق ،كان طارق يستعرض في مخيلته اعمال خاله ويقارن بينها وبين الحكم الذي اصدرته المقاومة بحقه .

قال بثقة : ما هو المطلوب مني ؟

-عليك الان ان تحسن علاقتك به الى اقصى حد وعندما نوعز لك امر التنفيذ توكل على الله .

كان الليل يرخي سدوله عندما نهض طارق من مخبأه ، استطاع ان يوهم خاله والعيون التي تحرسه انه اتى لزيارته وانه خرج ..تسارعت دقات قلب طارق ..كان يداه ترتجفان .. هل خالي هو الذي يستحق هذا فحسب ؟ لا.. هناك كثيرون ستمتد يد العدالة اليهم.. ما هو مصير اولاده ؟ ان العار الذي سيلحقه بهم عندما يكبرون اشد الما من فقده الان .

ان من يخون شعبه لا حاجة لاولاده به . .. ايمكن ان يصبح الدم ماء ؟ أليس بدمي شيء من دمه .. ؟ الوطن فوق الجميع . . فوق الدم والقرابة ..

كان ابو سليم ينام وحده في غرفة محكمة الاغلاق الا ان التدابير التي اتخذها طارق حالت دون احتياطاته .. مسدس تحت الوسادة ورشاش خلف الباب .. كان يتوقع ان تصل يد المقاومة اليه يوما.. لكنه لم يتصور ان تكون على تلك الشاكلة ..

وبتلك اليد ؟
وضع طارق اليد الاولى على فمه واليد الثانية كان يلمع بها نصل خنجر حاد ..
فتح ابو سليم عينيه. رأي الخنجر يقترب من رقبته .. كانت عيناه تستجديان تستفسران .. تتساءلان .. لكن طارق لم يتراجع ..

في اليوم التالي زال اي اثر للندم في نفس طارق عندما رأى قوات الاحتلال تستقبل نبأ مقتله ببرود ولا مبالاة فلم تجر اي تحقيق ولم تسأل مجرد سؤال. عما لاحظه عليه العمال في الايام الاخيرة.

لو كان اي جرذ منهم لنبشوا الارض واقاموا الدنيا واقعدوها ، لزجوا بمئات الشبان في السجون .. لكن من هو ابي سليم ؟ انه جيفة نتنة في نظرهم ، كلب مسعور وتخلصوا منه..

صلاح محمود

القمار
خيانة الآباء

فارس بطرس

تحملي يا نفس عبء النوى ... وروضي اشواقك الجامحات
وحدقي في الافق ما تشتهي ... واستشرفي احلامك الطيبات
حتى اذا الايام ما انصفت ... واعتقتني من قيود الحياة
ستلتقي في عزلة جوها ... صاف كاحداق الدجى الصافيات
واحيرة الاحرار في نكبة ... خلقية الاحداث والحادثات
طغت على اسمى مبادي الورى ... وقوضت ابراجها الشامخات
فنكلت بالناس شهواتها ... واستحكمت فوضى الخزايا صفات
ما كان يوما من شروط الغنى ... للحق للاخلاق للمكرمات
او كان من شيمة اهل الوفا ... ان يفتك القمار بالعائلات
فيسقط النادي واركانه ... في ميسر المنكر والمنكرات
يقامر البطران في ماله ... وعرضه .. وفي نصيب البنات
فتقتدي ببعلها زوجة ... وترتمي في شرك الموبقات
وترتمي اولادها حولها ... في السر.. في الجهر ..في خذوهات
خيانة الاباء أدت الى ... خيانة الابناء والامهات

الشاعر والشعور.. والشعر الحديث

موسى الخوري

أريد أن أوضح ،وأنا اتناول موضوعنا تشكل في القلب ، مكمن الشعور ، وليس في العقل ، ثم أنضجه الفكر المتحرر من قيود الانا والمنطق في رحاب الكل ، انني لا اضع هدفا يحتم علي الانسياق في اطار محدد ، حين أشرع في الكتابة أي في ترجمة الشعور الداخلي الى كلمات ومفاهيم .

وبشكل آخر ، أفضل أن أكون وليت ذلك يتحقق لي دوما ، ريشة في يد الشعور الذي يعتمل في أعماقي والذي هو عينه شعور الكل المستيقظ في ، فيرسم ويخط بي ألوانا وعبارات من ذاته المفعمة شعر الحياة .

وعلى ذلك ، فأنا لا اكتب عموما ، ولا احاول ان اكتب ، عندما يلوح لي موضوع معين ينطلق منمقدمات ليصل الى نتائج محددة ، بل ونهائية ، واصر دائما على ان يكون ما احاول طرحه ، تعبيرا عن البوتقة الجماعية المشتركة التي أحيا فيها مع الانسانية جمعاء ، في السيرورة المتحررة دوما من قيود الزمان والمكان ،لوجودنا اللانهائي ، ان ذلك يضعني حقا في اطار ما ، لكنني في الحقيقة لا اكون فيه وحدي ، وبذلك أشرك قارئي معي ، أننا في الجوهر فعل متبادل ضمن تلك البوتقة العظيمة ، حيث تنضج ، شيئا فشيئا ، حياة اكثر حرية واكثر انتظاما ، وتتبلور فكرة لا تخضع لمقاييس العقل وتفلت حتى من مفهوم اللانهاية ضمن عوالم اكثر شفافية وجمالا ، اوليست تلك هي حقا لمسات الشعر الحقيقية ونفحات الشعور المحلق في عوالمه

ان اللحظة التي نغيب فيها فنعاين ذلك النور البعيد ـ الذي يزداد ألقه كلما اوغلنا في الاستغراق بعبق الحضور الانسي، والتجلي الكلي ، لهي لحظة الشعور الكامل ، الطافحة بالحياة والنابضة بطاقة الوجود وحقيقته .

من هنا ، وعند هذه النقطة تتحول دراسة العلاقة بين الشاعر وشعره الى العلاقة الجوهرية بين الشاعر وقارئه .. اي الانسان وفي اللحظة التي نستشف فيها امكانية اكتمال الشاعر وامتلائه بشعره ، نكتشف ان ذاته تغيب في أفق حياة الاخرين لتمثل المجموع المشترك للمعاناة الواحدة التي تظهر بأشكال مختلفة عند كل انسان ، واذا كان صحيحا ان الانسان قد جر على نفسه صعوبات كثيرة يعاني منها ،لكنه ـ وهذه الفكرة ليست مجرد نظرة خاصة لأنني أعانيها في جميع الذين أعرفهم وفي نفسي ـ كان دائما لا يغفل عن تعميق معاناته الداخلية ، وكأنه يدرك ان فيها تكمن ، وستنضج بالتالي ، روح الفكرة الحرة الكاملة ، لا شك ان مثل هذه العملية عملية واعية . لكنها تتم ضمن البعد النفسي او الداخلي الذي ينظم كل عمليات الفعل ورد الفعل على مستويي الكون والانسان ، ولذلك لم يدرك الانسان حقيقة هذه العملية التي ليست في الواقع الا تعبيرا عن الشعور الجماعي ـ الشعور الكلي، الشعور الفاعل في كل انسان والمعبر عن وحدة الانسانية في الجوهر .

ان حاجة الانسان الى التعبير عما يعتمل في اعماقه ، تشير الى محاولته المتواصلة لرسم الصورة الكاملة للحقيقة الصافية التي يعانيها حينا وتتغيب عنه احيانا ، والتي تبقى دائما دافعه الرئيسي الى التأكيد على قيمة وجوده وعلى عظمة الكون المحيط به ، لكن حاجته الى التعبير لا تتوقف عن نقله الصورة التي يرى فيها سبرا لذاته واقترابا من الحقيقة الشفافة الكامنة فيه وحسب، انما تتسامى هذه الحاجة ليصبح الانسان نفسه أداة لها ، وفي حين نحاول ان نكشف عن صور الداخل فينا ، نكشف نحن عن تلك الصور، ونعبر عنها بتطورنا وبتفتحنا وبتسامينا ، فاذا بحثنا عن الحقيقة يصبح اكتناهنا لها وشعورا بها واقترابا لا حدود له منها .

ان التعبير الانساني يبدأ بالبحث عن الحقيقة في أطرمفاهيم عامة مختلفة كالجمال والمحبة والطبيعة ، لكنه ينتهي الى لحظة

يتجلى فيها الانسان ذاته بحقيقة الوجود .. وتكون تلك اللحظة هي لحظة الشعور بالاتحاد مع كل شيء وفيها تنبع في الانسان ، وتتدفق منه ، نغمات الشعر الصادق الحي في اللحظة التي يصبح فيها الشاعر هو الشعر ، يتنسم الشعور ذروة تألقه .. وتلك هي اللحظة الشعرية الناطقة ، اللحظة التي يكون فيها الانسان كلمة واغنية وتعبيرا حيا ، اللحظة التي يحيا فيها الانسان شعوره العميق الكامل بصدق وبنقاء ، اللحظة التي ينسى فيها نفسه ويستيقظ فيه معنى الاخوة الانسانية الشاملة الكلية ، والوحدة مع كل مافي الكون ..

هكذا تتبدى لنا التجربة الشعرية تجربة داخلية ومعاناة جوانية ، تفصح عن نفسها باقصاء نفسها وبترك طاقة الشعور لتعبر عن فعل الحياة ، بنا وفينا .. وان دنت هذه التجربة على شيء فانها تشير بالتأكيد الى عملية الابداع والى الوعي المنطلق ، اللاشعور ، الذي لا يحده منهج او فكر او عقيدة ، ان ما نتيقن منه ونؤكد عليه في سياق ادراكنا لهذه العملية على الذات هو ان فعل الشعور الداخلي فينا هو فعل كلي جماعي ، الا يمكننا فصله الفعل الداخلي في الاخرين ، انا ننتبه الى المعنى العميق الذي ينطوي عليه هذا الفعل ، المتمثل في الحياة المشتركة الواحدة للانسانية ، مع كل ذرة من ذرات الوجود ، ذلكم هو امتداد الشاعر في الانسان من خلال شعره ، انها عملية ابداع مشترك يحققها الفعل الكلي في الفرد ..ويجنيها الفعل الكلي بين الفرد والمجتمع .

ليس لي ان احدد ما هية الشعور ، لكنني أشبهه ببؤرة يتحد فيها الم وفرح الانسان بألم وفرح الكون .. فاذا تناغم كألوان الغروب اللانهائية يشرق بين اضواء النهار وعتمة الليل . ومن هذا التناغم تنبعث وتتألق رؤيا الوحدة والكلية .. هذه الرؤيا التي عنها وحدها سيتولد الابداع فيما بعد ، حين تحين لحظة المخاض ، وتفيض في الانسان الحان الاعماق القصية منسجمة مع هدير امواج المحيط الكوني ومع وشوشات وأصوات الغابات والانهار والجبال التي تحكي قصة الكون الازلية .

*

قد تبدو هذه الفكرة وكأنها رؤية خاصة ، غريبة في ظاهرها وغير مألوفة .. لكنني أراها تشمل جميع فنون الانسان واعماله الابداعية ، على جميع المستويات، بل وأرى ايضا انها اساس كل عمل أدى الى تطور الانسان والى تفتحه من هنا احب أن أنظر الى الشعر.. الى الشعر الحديث خصوصا .. والى دور الشعر العربي الحديث في مسيرة الشعر العالمي على وجه التحديد ..

علينا ان نقر ونعترف والامر ليس صعبا – ان ما يحدد قيمة العمل الابداعي هو قدرته على التعبير عن قيمة الحياة والحقيقة وليس كما نظن ونزعم غالبا ان المقاييس الفنية المتوارثة ، او التي لا تزال في طور الصياغة ، هي التي تحدد في النهاية القيمة الحقيقية للعمل الخلاق .

في الشعر ، يمكننا الاستغناء كما يحاول الشعر الحديث ان يفعل عن القوالب العتيقة وعن القوافي المقيدة ، فتتحول الالحان الرتيبة في القصيدة الى غنائية داخلية ، لكن من الصعوبة بمكان الاستغناء عن الشعور في الشعر ، والا لما عاد شعرا ..

لسنا مجبرين على تقويم شعرنا الحديث ، ولا على تقييمه ، لكن من واجبنا ان نقول الحقيقة حين يتعلق الامر بالشعور بالمسؤولية المشتركة كأبناء وطن واحد تجاه العالم . لقد تحدثت عن الشعور في الشعر وعن الشعور المشترك في تحقيق العملية الابداعية ، لكن لا يظنن احدانني قد اسقطت كلامي ذاك على ما نراه حاليا ومانقرؤه من قصائد " شعرنا الحديث " .

يتوجب علي ههنا ان أميز بين الشعور الصادق ، الصافي ، المنطلق من اعماقنا القصية ،، الذي يعبر عن تجلي "الكائن – الحقيقة " فينا بامتداده في الانسانية جمعاء .. والانفعال العاطفي المضطرب والاحاسيس والرغبات غير المتوازنة والتي تشكل بمجموعها ، فيما ارى الجزء الاعظم من شعرنا الحديث " .

عندما يعي الشاعر الفكرة التي طافت في خياله او التمعت في ذهنه ، فانه يقترب من الافصاح عنها والتعبير عن جوانبها المختلفة باسلوبه وبطريقته الخاصة لكن ما لم يشعر الشاعر بمضمون الذاكرة ، بروحها وبكلها ، ومالم يترك شعوره ذاك يعبرويفصح عن ذلك المضمون الباطني الذي لايختلف عن سر شعوره به ، فان وعيه الفكرة يبقى ناقصا .. ويبقى شعره مجرد كلمات مفككة وأفكار غير منسجمة وصور باهتة وموسيقى مفتعلة ، وتظهر فيه بدون شك العواطف المنفعلة التي ليست سوى محاولة لملء ذلك الفراغ وتعويض ذلك الجفاف : فراغ الشعر من الشعور وجفاف الشعر من التناغم ، كل ذلك ، وهو ظاهر جلي في شعرنا ، لا يعد شيئا امام ما يجتاح " قصائدنا " هذه الايام من اشارات ورموز واعداد لا ندري اي بركان فجرها ولا اي زلزال بعثرها ، ان هي الا رقع فوق رقع وقيود على سلاسل ..

يحاول شعرنا الحديث ان يتحرر من قيود الشعر القديم ، ويحاول كذلك ان يجد لنفسه موضوعات جديدة تناسب عصره وتتفق وواقعه ، بعيدا عن الموضوعات المعتادة التي تناولها سلفه ، لكنه مع الاسف ، لما يعرف كيف يتحرر من قيود الماضي ، فكبل نفسه من جديد ولما يعرف كيف ينطلق في عصره وواقعه فيعي مشكلات وصعوبات الانسان في هذه الايام فيعبر عن معاناته الحقيقية فضاع بين الماضي والحاضر ..

كيف نبحث عن حرية في الشعر وشعورنا لما يزل مغلفا بالاوهام؟ وكيف نبصر دورنا التحقيقي في المجتمعات الانسانية المعاصرة ، ونحن حينا نتغزل بالماضي وحينا نفاخر بأخذ قشور الحاضر ؟ هل نحن حقا نريد شعرا حديثا ام اننا

لا نعي ما نريد ؟

كثيرا ما يتردد في هذه الايام ، ان الشعر الحديث لما يزل يتلمس طريقه .. لكنني أعجب وأدهش لهذا المتلمس ، بماذا يتلمس ، وماذا يتلمس ؟ حري بنا أن نقر بالحقيقة وأن نعترف بأن معظم شعرنا الحديث ليس شعرا ، وبأنه ليس الا تعبيرا صادقا وحقيقيا عن الضياع الذي نعاني منه ، اني لا المس فيما يسمونه شعرا حديثا الا تشتتا وضربا من الصراع الداخلي في ذات خائفة من الانهيار ، بلى ، اننا نتعذب ونتألم .. لأننا لسنا ندري ما الذي نبحث عنه ..

والغريب ، هو انه على الرغم من ان الشعر الحديث لا يلقى الصدى والتجاوب الكافيين لدى القراء ، بل انهم ليجدونه غريبا عنهم لا يعرفونه ولا يعرفهم ، حتى انني لمست في حالات كثيرة نفورا منه ، لكننا مع ذلك لا نزال نطالع في وسائل اعلامنا جديده الكثير واخبار " تطوره المتلمس الحثيث" ان شعراء الحداثة لايدركون الفرق بين الشاعر الذي يصبر على نتاجه وينتظر ويتروى قبل نشره ، فيعمد، الى محاكمته ونقده وغربلته ، ثم الى مقارنته مع سيرورة تطوره وتفتح شعوره وفكره ، وهل هو يعبر عن معنى عميق يعتمل في كل جارحة من جوارحه ويمثل معاناة البيئة الواسعة المحيطة به .. والشاعر المتسرع ، المنفعل ، الذي يتوهم انه يعبر بشعره عن آمال كل الناس وعن الامهم ، وليس هو بقريب منهم ولا حتى يعرف معاناتهم ويشعر بها ، بل انه لا يعبر الا عن أناه التي تأبى السكون والصمت ، فتراه اذا ما تلقى نقدا لا يرضيه كان أصما ، واذا ما سمع اطراءا كان متفهما مصغيا ، ان الامر الصعب الذي يواجهنا هنا هو تأثر الشباب ببدعة الشعر الحديث تلك واقبالهم على كتابته بكل يسر وعلى نشره بكل حماس ، ان الفرق بين الشاعر الاول والشاعر الثاني كالفرق تماما بين من يبدع ، ثم يطرح ابداعه بصمت وترقب ولهفة على الاخرين ، آملا ان يجد لديهم التجاوب ، ومن لا يبدع ، ويتوهم أنه أبدع ، فيفرض نتاجه على الاخرين بكل ثقة ، معتقدا انه لابد سيلقى تجاوبا رائعا ، لان كتابته كما يؤمن ، معاناة حقيقية وشعور صاف صادق ، يتيقن الشاعر الاول من ابداعه ومن عطائه ، لانه عاين التجربة الداخلية اثناء كتابته بينما يثق الشاعر الثاني بنفسه وابداعه ، لانه وجد نفسه في التيار المتبع والسائد ، وهو بالتالي سيلقى بلا ادنى شك ما لقيه غيره من الاطراء ، لقد بحث الشاعر الاول عن ثبات داخلي في معاناته ، وهو بذلك اراد ان يكون مستقلا وحرا في ابداعه ، بقدر ما هو فاعل ومنفعل بروح الجماعة ، بينما لم يبحث الشاعر الثاني عن ثبات اصلا ، انما بحث عن التيار الاكثر جرفا ، ليزج بنفسه في دواماته ، وهو بذلك اراد ان يكون مكبلا بالاشراط الذي بدا له انه طريق الولوج الى الحرية ، والذي ظهر له ايضا كطريق سهلة للانخراط في الانفعال الظاهري للمجتمع .

يصعب علي حقا ، وانا أجبر على ادراج مثل هذه المقارنة ، أن أوقع نفسي بين حدين ، فلا انتبه الى خصوصية كل تجربة شعرية والتي تبقى ، رغم كل شيء ، معاناة انسانية حقيقية ، لان للفرد ، في اعماقه صلة وثيقة وكلية بالانسانية جمعاء ، حتى انه لا يستطيع هو نفسه ، مهما تجاهل تلك الصلة ، ومهما حاول ان ينفيها ، التهرب منها ورفضها تماما ، لكنني في الحقيقة ، اجدني امام حدث هو في جوهره تعبير جماعي عن ارادة الابداع والحرية والتعبير المنطلق غير المحدود ، وهو الشعر الحديث ، ويؤلمني ، في الوقت نفسه ، ان أرى هذه الارادة الثائرة لا تعرف لنفسها طريقا واعيا يقظا ، فلا هي تصغي لصوتها الداخلي الكفيل بارشادها الى الدرب الصاعدة ، ولا هي تبصر تجربتها في التجربة الانسانية المتكاملة والواحدة ، فتجد عندها المنارة التي تنقذها من الضلال في محيط تلاطم موجه واكفهر جوه ..

ان ما يحدد طريق التجربة الشعرية هو اولا التناغم الذي يبدعه الشاعر بأسلوبه الخاص بين شعوره الداخلي الكامن فيه والامكانية التعبيرية المتفتحة في أعماقه من جهة ، والاطار الواسع الذي يمنحه المجتمع بكل تجاربه ومعاناته للنشاط الانساني الفردي لكي يعبر عن المعنى العميق للتجربة الانسانية الداخلية من جهة اخرى ، ومن ثم السمو ثانيا بهذا التناغم ، تناغم الداخل والخارج وطرق التعبير ، ليصبح افصاحا عن الفعل الكلي للشعور المشترك ، وهكذا تصبح كل كلمة من كلمات الشاعر منبها يوقظ الشعور الكامن في الاخرين ، ولا اغالي ان قلت ان التجربة الشعرية الحقيقية تبدأ عند هذه النقطة تماما .. وليس قبلها .

لو شئت أن أوضح هذه النقطة أكثر مشددا عليها ، لما أوكلني ذلك الا بتناول بعض الامثلة والشواهد من " شعرنا الحديث " لكنني ، مع الاسف ، لما اجد مطلبي في كل ما قرأته حتى الان ، ولست أعزو ذلك الى طفولة شعرنا الحديث بالتأكيد ، بل الى عدم ولادته بعد ، ولكي أكون منصفا ، فانني أصر على أن بعض التجارب الواعدة مع القليل من الشعر الذي ينقل تجربة شعورية ، لايعدان انطلاقة مبشرة ، ولنقل ان ما نراه اليوم ليس الا مخاضا صعبا لا نضمن أبدا أن يأتينا بمولود صحيح .

علي اذن ، ان آملت بشعر حديث ، بكل ما تعنيه الحداثة من حرية وانفتاح ومشاركة في الشعور أن أوضح خصائص هذا الشعر من خلال الشاعر ، ولا أكون بذلك ناقدا للشاعر نفسه ، لكنني لا أكون أيضا قد وقعت في مطب فصل الشاعر عن شعره ، ان كان علي أن أكون صادقا فيما أشعر به وأعقله من منطلق محبتي للانسان فعلي اذن انهاء شعوري ، وبكل الصدق ، الى الاخرين ، فأتمم بذلك واجبي . لكنني قبل ان أميز بعض النقاط الهامة حول الشعر والشاعر أريد التأكيد على نقطة اساسية الا وهي أنني لا اضع ميزانا للشعر

ولا احدد له سبلا معينة .. ان ما يهمني هو الشعر المنطلق من الشاعر ، أي من الانسان الذي يفصح عن شعوره ، وليس لي ان أهتم بغير ذلك من " الشعر " .. ولهذا أركز فيما يلي كل اهتمامي على علاقة الشاعر بشعره .

ان اهم مايميز التجربة الشعورية – السامورية هو النظرة الشاملة والمتكاملة للواقع من منطلق شخصي يحافظ على حرية الفرد وعلى خصوصيته في التجربة والروّيا لكن ضمن منظور جمالي يحافظ على القدرة على السمو ، بالنفس والمجتمع ، فوق سراب التعددية ، لتحقيق المعنى والدور الانسانيين في الوجود ، واني لأتساءل : ماذا يعني أن نكتب الشعر ، ونحن غافلون عن هذه النقطة ؟ أليس أن كل انجراف في تيار ما ، يعد تقليصا للامكانية التعبيرية والشعرية ، ان لم نقل اشراطا لحرية التجربة الخاصة وامعانا في الاعتماد على تحليل الظروف الخارجية – عقليا فقط – دون افساح المجال لاية مبادرة ذاتية في الانفتاح على الاخرين وبلورة الفعل المتبادل معهم .. الفعل الذي وحده ، في شموله ، يتيح الحرية الداخلية ان تشعر..فتبدع

من الموّكد أنني لا أطالب – وذلك ليس من حقي – بعدم اعتناق العقائد والمذاهب والافكار، انما أردت التلميح الى نقطة نغفل عنها غالبا ، ألا وهي انه لايجوز بأي حال من الاحوال ، الخلط بين الحرية الفكرية ، وهي ليست الا شكلا بسيطا للا شتقاق الذاتي الخاص أي لاسقاط الطرق التعبيرية الذاتية للمنطق الفردي على بوتقات فكرية مختلفة ، بل ومتناقضة أحيانا ، والحرية التعبيرية للداخل ، وهي حرية فنية ابداعية قبل كل شيء، على ذاك ،يمكنني الاستنتاج بأن الشاعر يعتنق مبادىء معينة ، لكنه لا يقيد نفسه بها ، لان فكر الشاعر حر من دوامة العقل نفسها قبل أن يكون حرا من التقيد بمتّهج أومن التعصب لعقيدة .

أنني لا ادعو بالنتيجة الى رأي خاص ، ولا اطالب – كما يمكن أن يعتقد بعضهم – بمثالية غريبة لكنني أجزم أن الشعر ليس وسيلة للتعبير عن الفكر فحسب ، وعن الفكر المحدود والمقيد خصوصا ، ولا عن العواطف والانفعالات والنزوات ، ولا حتى عن الالام المكبوتة او عن ثورات النفس الجامحة الهائجة التي لا تعرف مطلبها ولا تعي كيف يمكن لها أن تحصل عليه ، فالحرية الشعرية حرية شعورية ، اي امتداد الشاعر المعنى العميق للفكرة التي يريد طرحها ، واتحاد شعوري داخلي مع الموضوع الذي يتناوله ، او فلنقل ، يشعر بالحاجة الى الافصاح عنه ، عندما يكون الشعر افصاحا عن الشعور الداخلي المتقد والمتفتح فينا ، فانه يصبح قادرا على التعبير عن عواطفنا وافكارنا التي تخلو عندها من التشويش والانفعال .

ألا نسمع معا ذلك الانين وتلك الشكوى ينبعثان من الشعر الحديث ، وكأني بهما يعبران عن الضياع والتخبط اللذين نعيشهما هذه الايام ، ؟ .. ثم ألا نلمح سوية ذلك الهروب او عدم القدرة على طرح الحلول للمشاكل وصعوبات التي يعاني منها الشاعر والمجتمع ان و[illegible] صعب ، والعالم يمر بفترة من أحلك الفترات التي مرت على كرتنا الارضية ، وفي حين تتفاقم المشكلات الفردية والجماعية للانسان ، تتضح حقيقة ترابطها وتداخلها ، وتنبثق من ذلك الصعوبة المشتركة التي يعاني منها كل انسان بطريقة مختلفة عن الاخرين ، أمن الممكن ان ما كان ينبغي ان يجعل الشعر الصادق الحي يتدفق من أعماق " الانسان " الشاعر ، لا ينفك يشوش عليه ويضنيه حتى ينفثه دخانا ترك في الداخل ، هناك في الاعماق البعيدة للكائن الانساني ، سموما لم تجد ترياقا لها بعد ؟

لا .. ان ما يمكن ان يعتمل في قلب الانسان لهو غير ما يتبطن عليه الانسان في الحقيقة ،ويتوجب علينا ، ان نحن أردنا ، ان يتجلى الباطن فينا ، أن ننقي مشاعرنا وافكارنا وعواطفنا ، عندما قلت

أننا لا نعرف بعد ما نريد ، عن
أننا لا نزال نتخبط في البحث ع
حلول لا تنبع من داخلنا ، فتك
بالتالي غير قادرة على الثب
أمام تقلبات الخارج وعواصفه
هل يفكر " شعراء " اليوم بالبح
في الداخل عن حلول للمشكلات ال
تبدو ظاهريا مشكلات خارجية ؟
ترى " شعراء " اليوم غير مهتم
الا باثبات وجودهم كما هو التي
السائد هذه الايام ؟ أيعتق
" شعراء الحداثة " أنهم سيجد
الطمأنينة والسلام والحرية وال
في تمسكهم بتعبيرهم عن تلك الا
التي لا حدود لها ولمطامعها ،
بالغرق في تيار الوصولية والشه
والمجد الزائل ؟ هل يدرك
ما معنى أن يكون الانسان شاعرا
هل شعروا بواجبهم الانساني وعر
معنى القيمة الانسانية ،فعاين
الطاقة الازلية الخلاقة المتجلي
في الانسان ، فالتهبوا واتقد
وسكروا بنشوة ذلك الشعور الشع
بالحياة الانسانية الواحدة الما
قدما على درب الوجود ؟

هل يريد شعرنا الحديث
يتخلى عن الموضوعات القديم
البالي التي تناولها الشعر
قبله ؟ الا يرى انه ثمة ف
شعرنا القديم ومضات رائعة لشع
وجداني وشعوري وعاطفي وفكر
وصوفي ، تضيء درب الداخل وتعب
عن وحدة الانسان الجوهرية ؟ مر
له ان شاء ان يضيف الى موضوع
شعرنا القديم أفكارا جديدة ، لك
أين يجد موضوعات غابت حتى ال
عن الفكر والشعور الانسانيين عب
تاريخ الحضارات ؟ ان الشع
يعبر اولا واخيرا ، عن الطبيع
والحياة والوجود ، وعن هذ
الانسان المتفاعل معها ، فه
سيرى الشاعر اليوم مالم ير
ويبصره سلفه من قبل ؟ هنيئا له
اذن ، ثقته وشغفه بالمعرف
الكاملة وبالروّيا المتكاملة
لكنني لا أراه ،في الحقيقة يبلـ
ولو شبرا واحدا من جبال الحكم
التي بلغها سلفه ، أما روّيته
وليس روّياه ، فانها لا تطال ا
تبصر قمم المعرفة التي حققه
الاقدمون ، أوليس حريا بشاعر اليو

ان يبدأ من حيث بدأ سلفه – ان لم يبدأ من حيث انتهى هذا السلف، فلا يتخلى عن الغزل مثلا ، وهو يجب الا يتخلى ، انما يعطيه لو شاء من روحه النقاء والعفة والجمال ، فيبلغ به مراتب الشعر الكامل ؟ لكنني مع الاسف الشديد، أرى شعرنا الحديث ، ومعظمه غزل في غزل ، يتهتك فلا يرعوي ويفضح فلا يخجل ، ام ترى ان شعرنا الحديث عمل صالحا ، فتخلى عن المدح والهجاء وعن القيل والقال وهذه مواضيع يجمل به حقا الا يرثها عن سلفه ؟ ما كان احلى المديح في الشعر القديم بالقياس الى ما نراه اليوم من مدح للذات ومن تذلل للانا وللاخرين ، يحاول احيانا " شعرنا الحديث " واني لمرغم على تكرار هذه العبارة – ان يفلت الى نطاق الانسانية ، فيتحدث عن الصراعات في العالم ، وعن الظلم والاضطهاد ، ويندد بالاستعمار، ويحاول ايضا ، " البحث " عن التأثيرات على النفس الانسانية " وتصويرها " سلبية كانت ، ام ايجابية ، لكنه في النهاية ينكفيء تعبا من هذا الضجيج النفسي الذي يكتنفه وسط أشكال مبهمة من رموز وصور غريبة عجيبة يتوجها وتتوجه ، فاذا ، بدلا من الوضوح والحلول والرجاء ، ضباب وسخط ويأس .. واشارات واشارات .

يقول الاستاذ الناقد يوسف اليوسف * : " في العالم العربي اليوم ، أو أقلة في سوريا ، ثمة قصيدة واحدة يكتبها الجميع ، ويعيدون انتاجها كل يوم " وهذا كلام صريح من ناقد معروف ، وهو يتابع كلامه حول هذه القصيدة : " لقد قرأت الكثير من النثر الادبي المعاصر ، وخلصت الى ان الكاتب العربي المعاصر يكاد يجهل الطبيعة الى حد لا يصدق ،وان صورة المرأة في ذهنه قلما تسمو الى مستوى العشق المصعد النبيل ،وان رعشة اللون في وجدانه باهتة او غائبة ، اذ الالوان لا تذكر الا عرضا ، وكأن الالوان ليست الاشياء اياها ،وكأن الانسجام الذي يشد الاشياء والالوان الى وحدة الهوية امر مجهول الى حد مطبق ، مملكة النبات الهادئة المستتبة ، مملكة الحيوان المجسم للحياة ، الفراغ وما يسبح فيه من غمام وانسام واطيار وكواكب .. هذه الظواهر الكونية التي تؤلف النسيج الاولاني لكل أدب ، وفي كل مكان وزمان ، لا تحضر الا لماما ، اوعلى ندرة في النثر العربي المعاصر كله " . وهكذا يرى الناقد يوسف اليوسف في هذه الظاهرة الكونية ، الوجود اللانهائي المعبر عن وحدة وكلية في تجلياته وجمالها المتنوع ، موضوع الالتزام الاول ، الذي ترتكز عليه التزامات الشاعر الاخرى .. لان هذا الموضوع ينطلق مباشرة من شعور الانسان بحقيقة وجمال هذا الكون ، وبالابداع اللانهائي المتجدد دائما ابدا فيه وبوحدة جوهرية بين هذا الانسان الشاعر ، وموضوع شعوره ، يقول الاستاذ يوسف اليوسف " .. ان الالتزام الوطني ليس المهمة الوحيدة للمبدع العربي ، فثمة هموم اخرى : العدالة الاجتماعية ، الشر الذي يملأ العالم ، الالم البشري ، سر الكون والوجود ، سر الحب والصداقة ، سر الموت ، وبايجاز ثمة وظيفة التعامل مع الكون ، ان ادبا بغير هموم كونية لا يسعه البتة ان يكون أدبا عظيما ، او قل ان الادب الوطني نفسه لا يمكن له ان يكون ادبا بالمعنى الدقيق للكلمة الا اذا استطاع ان يصل الى الانسان الشامل ، الى الراحة النفسية التي تتعالى على التاريخ ، على الاماكن والازمنة كلها " .

وأكثرها اذن ، الموضوعات التي بوسعنا التعبير من خلالها عن تلك الفترة الواحدة ، عن تلك العاطفة الوجدانية ، عن ذلك العبق بالشعور المشترك بالوحدة مع كل شيء ، حري بنا ان نتسامى بالافكار القديمة بدلا من الضياع في متاهات البحث عن موضوعات فريدة ، وحري بنا ، من اجل ذلك، ان نتسامى بعواطفنا وبأفكارنا ، لكي نعبر عن حقيقتنا أكمل تعبير هكذا ينقل الشاعر ، في وصفه لزهرة ، جمال الازهار والفراشات والغيوم في لعبتها المشتركة مع ظلال الزمان الدائر وألوانه السحرية المتغيرة في كل لحظة ، وهكذا يحلم في غزله بالحبيب يعزف له لحنا سماويا يناديه ، يطلب اليه الاقتراب ، ليتعانقا ويرقصا معا تلك الرقصة الازلية ، وفي وطنيته ، يتسامى شعوره الى شعور انساني كلي ،ويسمع نداء الحرية آتيا عبر عوالم جوانية فتنبض في قلبه كل القلوب الانسانية .

وبعد ، ما يريد الشعر الحديث هل يريد ان يتخلى عن القوافي والاوزان ليصبح أكثر حرية في التعبير عن شعورنا الدفاق ؟ فما اجمل ذلك وما احلاه .. بلى ، جميل أن يتحرر الشاعر من قوالب الشعر القديمة – ليس لأنها غير جميلة ، انما لأن لكل من القديم والحديث خصوصية تميزه – وهذا من حقه ، لكن ليس جميلا ، ولا من حقه ، أن يقع في فخ عبودية التحرر الزائف ، ان نسقط الشكل الخارجي أمر مقبول طالما أننا نحافظ على روح الشعر في قالب جديد،متحرر ، منطلق ، متماسك وجميل ، لا يعكر ابدا صفو الصورة الشعرية الصادقة ان كنا نستبدل الشكل القديم ، الرتيب ، بشكل جديد ، اكثر تحررا من القيود الظاهرية ، فهل نقع من جديد أسرى قيود اللانتظام والفوضى والتشتت ؟ أليس غريبا أن الشعر الحديث الذي يحاول نقد استيراد القشور من الغرب ، يصبح هو نفسه المستهلك الاول للطريقة الغربية الغريبة في التعامل مع الفن ؟ ألا يحق لي أن أخشى من تحول " شعرنا " الى بدعة متجددة والى " صرعة " مفتعلة

اذن ، حين اطالب بنظرة شاملة ، متكاملة ، فلكي أبذر بذلك بذار الرؤيا الكلية النابعة من شعور كلي ، والتي منها وحدها يمكننا جني الشعر الحديث .

أستطيع تلخيص ما سبق حول تحقيق النظرة الشاملة بالنقاط التالية :

– التوازن الداخلي ، اي ثبات النفس وهدوء العقل ، مما يفسح المجال لوعي ما يعتمل في داخلنا ولتمييز المشاعر الصادقة النابعة

من الداخل ، عن الاحاسيس المزيفة التي تأتينا من الخارج والتي لا تحمل في طياتها الا القلق والشك.

بشكل اخر ، الوضوح في تعاملنا مع نفحات الشعور الداخلي مما يودي الى جلا رؤيتنا لعلاقاتنا بكل ما يحيط بنا ، اذ علينا ان نكون مدركين لاهمية التأثير والتأثير بين الشاعر والمجتمع ، فاذا كان شعرنا جليا واضحا ، كان وصوله اكثر شفافية وتأثيره اكثر عمقا ، ان في وضوح انفسنا لنا وجلائها ، تحريرا عظيما لامكانياتنا الشعرية وافصاحا عن حقيقة شعورنا الدفين ..

التجربة والمعاناة والعمل على بلورة شعورنا الداخلي بعدم التهرب من بوتقة الصعوبة .

ان اهم ما يميز التجربة الشعرية هو الثبات في الشدة واحتمال الالم ووعيه ، والانسياق في سيرورة الكفاح الجماعي من اجل تحقيق القيمة والدور الانسانيين، ان التجربة الداخلية للانسان هي طريق انعتاقه من تيارات التمازج ، ومعاناته هي التي تلهب شعوره بالوحدة مع الاخرين .

*

أريد التوقف هنا عند الرمز في الشعر – وما يقابله من غموض في شعرنا الحديث .

قلت ان الشعر شعور ، وتجربة داخلية تنتهي الى الافصاح عن نفسها بالكلمات وبالتعابير ، لكن الشاعر ، في تعبيره عن تلك التجربة ، لايحاول ان ينقل للاخرين صورتها وفكرتها وحسب ، بل وفعلها فيه كما شعوره بها الذي يصبح هو نفسه ، في لحظة التألق الشعري خلال التجربة ، الملهم والشاعر ، فكيف يعبر الشعور عن نفسه ، وكيف يعبر بالكلمات عن تجربة شعورية ؟ هنا تظهر امكانية الصورة والتشبيه في رسم الاطار العام بكامله ، فتحييه وتكشف فيه التألق الكامل للنور الذي عاينه الشاعر في تجربته ، وهذه الامكانية هي الرمز .

لا يهمني تعريف الرمز وتحديده انما اهتم اكثر لدوره في الشعر، ولهذا يجب ان أوكد ههنا على ان الرمز ليس مجرد اسقاط لفكرة ما، على حادثة طبيعية او على عملية مألوفة ، فتحملها اكثر مما تطيق احتماله ، وتحمل الشعر بالتالي عبئا هو بغنى عنه ، علينا الا ننسى ان كلماتنا وتعابيرنا وجملنا هي ، في الاصل ، رموز ومفاهيم ، وبالتالي ، فان شعرنا في النهاية هو تآلف هذه الرموز والمفاهيم التي تزداد حيوية كلما كان تآلف كلماتنا متناغما وتجربتنا .

ان الرمز ، في حد ذاته ، مجرد وجاف ، وهو لا يكتسب المعنى ولا يصبحه ، انما ينقل فقط . .. فالرمز ليس غاية ، كما أنه ليس بداية ، حين يعبر الرمز بالكلمة وبالمفهوم العام في القصيدة عن المعنى العميق الذي يريده الشاعر فانه يكون قد أدى دوره على أكمل وجه . وعلى هذا ، فالرمز ليس شعورا اي انه ليس هو الشعور ، وعلينا أن ندرك هذه النقطة تماما ان الرمز يأتي من الشعور – او هكذا يجب ان يكون الامر – الذي يسيمه نسغا يحيي القصيدة كاملها فيكون الرمز بذلك وحيا شعوريا وتجاوزا للكلمة الى المعنى .

مما لا شك فيه ان الرمز لا يعني الغموض ،وعندما يريد الشاعر ان يشير في قصيدته الى معنى عميق في نفسه من خلال الرمز فانه يتوخى الافصاح عن ذلك المعنى بأسلوب ينقله كاملا ويحافظ على نقائه وعلى صفاء شعوره به. انه يدرك ان الكلمات المتراصة وحدها لا تفي ولا تعبر الا عن اطار خارجي ولذلك فهو يضمن تلك الكلمات رمزا يحرك فكر الاخرين ويهز مشاعرهم ، بل وينقل لهم ، في الوقت نفسه ، عين تجربته فيلتهب فيهم شعوره بهم .

هكذا أفهم الرمز وأرى دوره في الشعر ، ولنقل انه انتقال من التعبير عن مفاهيم مختلفة الى التعبير عن فكرة كاملة ، وانه ليتسامى في الشعر ليفصح عن تجربة وعن معاناة ولينقل شعورا داخليا عميقا بشفافية وعذوبة .

مما لا شك فيه أيضا ، ان النظرة الواضحة الشاملة والشعور الصافي الكلي ، يهبان الشاعر شفافية رمزية معبرة ، ويبعدانه عن كل غموض ولبس وتشويش في المعنى ، ان الرمز هنا ينقل تجربة الشاعر ومعاناته كلها مع صفاء فكره كله ، ويفسح بذلك لرؤاه ان تشرق في لحظة الكتابة لحظة الاستغراق في الشعور الكلي الجماعي ، اذ تنتفي القيود الشكلية للجمل وللصور وللمفاهيم وتتحرر في اطار الرمز العابق بالفكرة الكاملة والحرة امكانيات الداخل نفسها للتعبير بأدوات الخارج ..

في " شعرنا الحديث " لانلمح الهروب من قيود الوزن الى سلاسل الالغاز الجهنمية ، والصور المعتمة والتراكيب الفارغة وحسب ، بل ونبصر ايضا – وذلك ما نخجل من البوح به غالبا – الهروب الى الرمز من المعنى ومن التجربة الحقيقية ومن الشعور الصادق .

لقد أصبح الرمز في شعرنا هو الهدف ، بل هو الشعر .

هل قلت الرمز ؟ لقد أخطأت اذن ، وعلي أن أصحح فأقول :"لقد أصبح الابهام في شعرنا هو الهدف بل هو الشعر ".

مالنا نخشى الحقيقة ونفضل عليها السقوط في " بئر الشعر المظلم " ، والغرق في لجج العواطف الهائجة ؟ لم لا ندعو الاشياء بأسمائها ، ونقر بواقع حالنا ، فنغربل الذي عندنا ، ولا نبقي الا على الصالح والقليل، ومنه نبدأ غير متعجلين ، لم نجعل الشعر غاية في حداثته ، اوطريقا الى قمم الوهم ، والشعر ليس الا تعبيرا عن شعور داخلي ، فاذا لم تتحقق تجربة الشعور ، فمن أين ينبع الشعر ؟ يقول الياس ابو شبكة في مقدمة ديوانه افاعي الفردوس،" .. وعندي ان الشعر ينزل مرتديا ثوبه الكامل ،وهذا الثوب جزء من الشعور لايتجزأ " *

والياس ابو شبكة ،ادرك هذه الحقيقة البسيطة والعميقة ونقلها

ل بيت في شعره ، وان كـــان
قا لهواة الشعر الحديث ،فهذا
منعنا من الاخذ بتجربته على
ا منارة حقيقية لنا ، نهتدي
في تجربتنا المعاصرة ، نحن
ين نريد ان يكون لنا دورنا في
جتمع الانساني الكبير .

هكذا نعودمرة اخرى الى
اعر ، الى التجربة الداخلية
الشعور ، فلا نتردد في القول
الرمز افصاح الشاعر عن شعوره
تجربته الداخلية بصدق وبنقاء

فلنلجأ الى الرمز ، فهو
فة المتنامية ابدا من اجل
عبير عن الحقيقة ، ولنبتعد
" الرمز - الغموض " الذي
ح هدف شعرنا والذي بتنا
هم انه الشعر . أليس هذا هو
واقع شعرنا الحديث ؟ الا نرى
ا يلهثون وراء " الرمز "
اجل ان يكتبوا شعرا ؟ وفي
هاية ، ألا نرى الطلاسم تملأ
بات تسمى دواوينا ملقاة هنا
اك في الواجهات ، وعلى طرفي
نا الشعرية الحديثة ؟

ونطرح السؤال مرة اخرى ..
ؤال المتضمن اجابته : " هل
شعرا حديثا حقيقيا يضعنا
الدرب الانسانية الواحدة .
نعرف ونعي ما نريد ؟ ..

*

لا بد من كلمة اخيرة في
.

ان النقد وحده يتفرد دوما
الصعبة : قول الحقيقة ،
انه على النقد تقع
وضع النقاط على الحروف،
المهمة الشاقة التي تحتاج
الى الهمة ، او لنقل مرة
انها المهمة المسؤولة تماما
والاديب والفنان ، في
الخلق او الابداع .

وان كان اطار الموضوع لا
بالتوسع في موضوع النقد ،
يسمح على الاقل بالتأكيد
النقد الصادق ، النابع من
الواعي لتطور الشعر
الشعر في الشعور ، فما
في مثل هذه الايام الى
النقد ، وما اجمل

نرى نقادنا يسارعون الى اصلاح الاعوجاج في مسيرة شعرنـــا ، فينبهون ويوجهون ، وينقدون فلا ينقضون ، بل يبنون ويرفعون .

ان المشكلة الكبرى التي تواجهنا ، هي ان معظم نقادنا انساقوا في تيار " الشعر الحديث" فأخذوا على عاتقهم مهمة شرحه او " تشريحه " لكي يصل الى القراء واضحا سلسا .. فزادوا الغموض غموضا ، وعملوا على تطوير نقد حديث يلائم الشعر الحديث ويجاريه في ابهامه وتفككه وضياعه ، فاستحقوا بذلك شرف تثبيت اركانه وتعزيز صموده وحثه على الاستمرار قدما في مجاهل الضلال المظلمة .

أعود فأطرح السؤال مجددا ، لكن على النقاد هذه المرة .. من أين لنا النقد الهادف البناء وليس ثم شعور واع الدور للواجب وللمسؤولية الانسانية ؟

ان النقد ايها السادة ، ليس تحليلا للكلمة او للحرف، ولا هو ادمان في تجزئة الجمل والكلمات او حتى الحروف ، ان النقد اولا نظرة لكلية القصيدة ، ونظرة انسانية الانسانية في القصيدة ونظرة شعورية الشعور في القصيدة . ان النقد في جوهره وعي لدور ورسالة الشاعر في شعره ،ولهذا يتوجب على الناقد ان يكون واعيا لدوره ولرسالته في النقد .

يقول ميخائيل نعيمة : " اما النقد الذي لا غنى للادب عنه فهو النقد الذي يقيم للادب اهدافا تتناسب وعظمة الانسان من حيث هو كائن لا نهاية لما في كيانه من الاسرار والقوى التي تجعله يصبو دائما ابدا الى الانعتاق من القيودوالحدود والسدود مهما يكن نوعها . وهذا النقد لايتغافل عن ان الانسان لا يزال من لحم ودم وان للحم وللدم متطلباتهما ومشكلاتهما ، ولكنه يأبى على الادب ان يكون مرآة لا تعكس من الانسان اكثر من لحمه ودمه ، فتوهمه ان الذي يراه فيها من ذاته هو كل ذاته . وهكذا تقصد به عن الطموح الى ما هو ابعد واسمى وابقى من حاجات اللحم فتحكم عليه قيوده وحدوده وسدوده ، بدلا من ان تساعده على الانفلات منها .

والناقد الذي يحس ذلك النوع من النقد هو الناقد الذي سبر من الانسان اعمق اعماقه ، وتسلق اعلى اعاليه ، فبات يحسه كائنا قدما على الارض ، اما رأسه ففي السماء ، وهذا الناقد لاينظر الى الكلمة نظرة القارئ العادي ولا نظرة الكاتب المتعنت ، فهي عنده اكثر من اداة للتعبير واكثر من وسيلة للوشي والتنميق والتمويه والتسلية والبهرجة والحذلقة ، انها المجمرة التي يحرق الانسان فيها بخور اشواقه ، وانها المصباح الذي ينير له طريق الحق والجمال ، والمفتاح الذي به يلج الابواب الموصدة في وجهه ، وهي لا نفع منها مالم يتجل الصدق في كل حرف من حروفها ، والكلمة الصادقة جميلة ابدا ، اما الكلمة الكاذبة فهي البشاعة بعينها ، وقد استعارت اثواب الجمال ، وهي السم في الدسم لقائلها ولكاتبها ، ولسامعها ولقارئها بالسواء .

ذلك هو النقد الذي أجله ما عداه فأكثره هباء في هباء

ولقد اسعدني ان أقرأ مؤخرا مقالا للناقد السوري عبد الفتاح قلعه جي في جريدة تشرين اليومية يتناول فيه امكانية سبر الناقد للشعر الرؤيوي واهمية العبور من الخارج الى الداخل ، من الظاهر الى الباطن في عملية نقد " القصيدة المفعمة بالشعور الداخلي : " العبور من البراني الى الجواني ضرورة بالنسبة للناقد ، وهو الدخول الحقيقي في طقس الاشياء ، ولكن هذه المهمة لا يستطيع ان يضطلع بها الا من يملك الذائقة الجوانية والقادر على الاستبصار بالحدس ، كيف يستطيع ناقد تجزيئي براني ان يتخلص من شباك النسيج اللغوي من ثوابت النقد الجمالي في منهجه الشكلاني - وربما القوالب النقدية الجاهزة - ويتماهى في تائية ابن الفارض او حكايات العطار الشعرية في منطلق الطير ، او اشراقات

بن عربي في ترجمان الاشـواق ، طلق فيها الروح في مدار ابدي ،؟
ويستطرد موضحا اهمية التكامل بين البراني والجواني في الرمز التعبير : " والعبور الى الجواني لا يكون الا عن طريق البراني ، فالناقد الذائق العراف يدرك ان الالفاظ والعبارات البديعيات ، والصور حسية كانت ام تخيلية ونثار العواطف والمعاني ما هي الا رموز ومعالم الطريق الى جوانية القصيدة ٠
" الدخول في طقس القصيدة فتح او القصيدة الاشراقة امر مجهد بقدر ماهو ممتع للناقد لانه يتطلب منه حالة ارتقاء روحية واستخداما لأدوات نقدية جديدة تستطيع ان تحيط الجوهر في أناة ودقة ٠ وتقوم بابرازه في جلاء مضيئة اياه من جميع جوانبه ، مع مجانبة كل تجزيء يفتت كلية العمل الشعري الرؤيوي " ٠
اذا ٠٠ أمام نقادنا مهمتان اوليتان : اولا ابراز العمل الشعري الشعوري ، او كما أسماه الاستاذ قنلعه جي "الرؤيوي" من بين الاعمال الهائلة من الشعر المقيد والضائع ٠٠ ومن ثم نقد هذا العمل الابداعي بأسلوب ابداعي اذا ، لايتم سبر اعماق العمل الداخلي والكلي الا بالقدرة على الاستبطان وبالكلية في النظرة النقدية ، هذا يتطلب من الناقد عملا معمقا على الذات هو عينه العمل المطلوب من الشاعر تحقيقه بغير هذا الجو ، يصعب على القصيدة الحديثة ان تؤدي رسالة ودورا في عالمنا المعاصر ٠

*

لم احاول في هذه المقالة البسيطة تحديد ماهية الشعر ، فمن الخرق كما يقول ابو شبكة ، " ان نحاول بلغة وضعية تحديد لغة المجاز والكناية ،لغة الروح، لغة الحس الوجداني العميق " * ٠ لكنني عبرت عن شعوري الصادق تجاه ما أشهده حاليا من " شعر حديث " وحاولت التمييز ما بين الشعر الذي يوقد في الرجاء ويلهب في الحياة ، وبين الكلمات المتشابكة والمتقاطعة التي لا يمكن دعوتها شعرا وتسمية الذين كتبوها شعراء ، والتي تشد قلبي بحبال التخبط واليأس ، وتطرق روحي في وهم الظلمة والشك والحيرة ، لذلك ، نستميحكم عذرا مع ميخائيل نعيمة " ان ندعو الاشياء بأسمائها ، ولذاك لا تؤاخذونا اذا ميزنا بينكم وبين الشعراء ، فدعونا ما تكتبونه صف كلام وما يكتبونه شعرا وفنا"**

موسى الخوري

الحواشي :

---

* الياس ابو شبكة : افاعي الفردوس ص ١٥

* ميخائيل نعيمة المؤلفات الكاملة المجلد السابع ،مقالات متفرقة ،" النقد كما افهمت " دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩ ص ٢١٦

* الياس ابو شبكة ،مقدمة افاعي الفردوس " دار الحضارة ،بيروت ٧٩ ص ٤٠٥

** ميخائيل نعيمة ، المؤلفات الكاملة ، الغربال ، المجلد الثالث ، دارالعلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩ ،ص ٤٠٥

لا تجزعي

مروان السباعي

لا تنكري .. نعس الهوى وحنينه   ودفنت عطر الحب في الصحراء

وبدأت في زرع الدجى بدل الضحى   ونأيت حاملة شروق عطائي

وخشيت أن أنأى بقلب حاقد   فسقيت وهم الحقد وهم وفاء

لا تجزعي .. أنا فوق وهمك عزة   أنا في رحاب الكون وهج زكاء

لا تجزعي .. سأظل أعشق لهفة   أهدت الى وتر الزمان فنائي

يا خفقة القلب الغرير وقبلة الاحداق يا ألق الجمال النائي

كم رنوة رف النداء بهدبها   وعلى ضفاف الهدب طيف حياء

كم همسة سكر النسيم بشدوها   قد أيقظت جمر الهوى بدمائي

ونعمت في حب يدغدغ مهجتي   متغلغلا بسعادتي وشقائي

أنا لست أخشى في الهوى وردالردى   أخشى النوى وتقلب الاهواء

فأضم أجنحة المحبة عاشقا   وأصونها من جمرة سوداء

وأعز حبي فيحنايا أضلعي   وأجله عن غضبة هوجاء

وألفه بالصبر وهو مضرج   بدمائه من طعنة نجلاء

والذكريات اذا تأجج وقدها   هدهدتها بالدمعة الخرساء

الحب مملكة النفوس وروضة الد   نيا وسر مواهب الشعراء

الحب أثمن من جميع كنوزنا   لا كنز يعدله على الغبراء

أما اذا انتصر النوى ،وتغربت   أحداق من أهوى وغاب رجائي

فادرت كوخي ، والحنين بخافقي   وسكنت قلب النجمة الزهراء

وطويت سر الحب بين جوانحي   وحفظته من خدشة رعناء

وبسطت اجنحة الهوى في عالم   رحب الضياء ملون الارجاء

فتبرجت فتن السماء ورجيت   في الكواكب لهفة لسنائي

لا تجزعي .. انا فوق وهمك عزة   أنا في رحاب الكون وهج زكاء

حوار مجلة المسار مع :

الأديب الكبير مولود قاسم

إجراء : فتحية عاقب
وناصر أبو رمضان

سؤال :

نلاحظ ،حاليا وجود ازدواجية بالفعل . ماذا سيكون تطورها ، في نظركم ، الأستاذ مولود قاسم .

جواب :

يقصد بالازدواجية ، عموما ، ازدواجية لغتين ، أي استعمالها في آن واحد ، على السواء ، في الكلام اليومي ، بأن ينتقل الانسان من لغة الى أخرى والعكس في نفس المحادثة ؛ أو في الادارة ، كأن تكون بعض الوثائق أو الأوراق مطبوعة ومحررة بلغة بينما تكون غيرها بلغة أخرى ، أو أن تكون مطبوعة بلغتين ومملوءة بلغتين ؛ او في التعليم ، بأن تدرس بعض المواد بلغة ، بينما تدرس غيرها بلغة غيرها . انه الاستعمال لهذه أو تلك على السواء ، في كل وقت ، بدون أي فرق ، ولا تحرج ، بل بصفة طبيعية ... هذا ، باختصار ، هو ما يقصد بالازدواجية عموما .

ويجب أن أقول ، منذ البدء ، ان ازدواج لغة أجنبية مع اللغة الوطنية يساوي ، في نظري ، ازدواج الرأس ، أو هي الرأسانية ، (نسبة الى الرأس) ، بمعنى انشطار الرأس الى نصفين . انها حالة مرضية (بفتح الميم والراء) ، ومفارقة تاريخية ، مثل ازدواج الشخصية ، اذ أن الرأسانية أو ازدواج الرأس يعني رأسين ... أي ازدواج المعنى ، والفوضى ، والاختلال ، والغموض ، والبلبلة ، والابهام ، والخنثى المشكل ! .

هذا المرض لايوجد الا في البلدان التي تعرضت للتفقير الثقافي ، ومسخ الشخصية ، والاستلاب ، وهو ما أسميه بالثلاثي الجهني : الانمساخ ، والافتساخ ، والانتساخ . تلك هي حال البلدان التي تعرضت لغزو البلدان الشقيقة المجاورة : تونس ، وليبيا ، وموريتانيا ، والمغرب ، والبلدان الافريقية الأخرى ، وكذا البلدان الأسيوية ، وغيرها ، بدرجات مختلفة ، وبتأثيرات متفاوتة ، مثل مصر ، ولبنان ، والهند ، وباكستان ، وكثير غيرها .

فلنحاول الآن التوضيح والتدقيق قليلا :

ففي الكلام اليومي ، في المحادثة الحادية بين الأصدقاء ، وفي الوسط العائلي ، أو في الخطاب الرسمي ، والمناقشات ، والندوات ، والاجتماعات ، والمهرجانات ، الخ ... انه لمن المفارقة التاريخية ، ومن الشذوذ ، ومن غير السوي ، ومن غير الطبيعي ، بل من المرضي (من المرض) ، أن يتحدث الانسان بلغة أجنبية ! .

على أن كون بلد ما له لغة وطنية مشتركة ، أو أن تكون له لهجات فقط ، فهذا في حد ذاته قد يتضمن فروقا . فهناك بلدان ليست لها لغة وطنية ، أو أن حكامها هم الذين يقولون ذلك ... ويمكن أن نستشهد بمثل في هذا السياق : فحين سأل نائب فرنسي ، مارك لوروة ، الذي كان هو الذي وضع المقدمة لقانون اللغة الفرنسية ، المصادق عليه أيام الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان ، الرئيس الهايتي يومها ، فرانسوة دوفالي ، لماذا أصر بلد ، على الانفصال عن فرنسا مع ابقائه على

اللغة الفرنسية ، أجاب دوفالي أن في بلده ، توجد لهجات جد كثيرة ، وأن اللغة الفرنسية تقوم بدور الرابطة الجامعة واللغة المشتركة الرسمية ، لتعدد اللهجات فيه وانعدام لغة وطنية مشتركة الى جنبها لها تقاليد ادارية ، وثقافية ، وعلمية . ومن هنا كان الابقاء على اللغة الفرنسية التي تمثل نوعا ما « غنيمة حرب » ، مثل بندقية افتكت من العدو ... هذا كان جواب الرئيس الهايتي السابق .

ان المشكل بالنسبة الينا ، نحن الجزائريين ، لايطرح بهذا الشكل أبدا . كلا ! فليست هناك أية مقارنة ممكنة اطلاقا بين الوضعين ! فنحن نملك لغة وطنية لها تقاليد ادارية ، ثقافية ، علمية ، جد راسخة ، ضاربة في العراقة ، وذات صيغة عالمية . إنها لبداهة لاحاجة لنا اطلاقا الى الوقوف عندها والبرهنة عليها ، لغة وطنية تعبر عن حقائقنا ، وتصلنا ببلدان شقيقة مجاورة وبعيدة ، وعلاوة على ذلك ، فهي احدى اللغات الست الرسمية لمنظمة الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الدولية .

نقول هذا ونحن لانعارض أبدا استعمال اللغة الفرنسية ، ولكن على أن يكون استعمالها مناسبا ، سويا ، متحكما فيه ، أي أن يكون هذا الاستعمال في محله فقط ، حين يستدعي الأمر ذلك فحسب ، ولا نحن نعارض استعمال اللغات الأجنبية الأخرى عندنا . فما أبعدنا عن هذا ! بل بالعكس تماما . اني لأتأسف ، أكثر من ذلك . لالغاء تعليم الألمانية في معظم الثانويات النادرة التي كانت تدرس بها . كما أتأسف لعدم تعليم لغات أجنبية أخرى مثل اليابانية ، والروسية ، والصينية ، والبرتغالية ، والسويدية ، والايطالية ، بل وحتى العبرية ، وغيرها . فكيف بالفرنسية وهي اللغة التي اكتسبناها ، مهما كانت الظروف التاريخية لاكتسابها ، اللغة التي ورثناها عن الفترة الاستدمارية . أي أنها « في الجيب » ، بل انها « المكسب » الايجابي الوحيد ، الفريد ، الشريد الطريد ، الذي نلناه من الاستدمار . غير أنه يجب استعمالها برشد ، أي في محلها فقط ، كنافذة على العالم ، وليس كبديل للغتنا ، وعوض عنها ، ولا ضرة لها في اطار ازدواجية قلنا عنها ما قلنا منذ حين ...

وفضلا على هذا ، فان اللغة الفرنسية متأخرة حاليا ، بالمقارنة مع لغات أخرى . ان الرئيس الفرنسي الحالي نفسه هو الذي اعترف بذلك مؤخرا . ففي العام الماضي ، خلال الاحتفال بالعيد الخمسين بعد الثلاثمائة لانشاء المجمع اللغوي الفرنسي في يناير 1635 م ، ألم ينتقد السيد فرنسوة ميتران ، وهو يخاطب « الخالدين » الأربعين (أعضاء الأكاديمية المذكورة) ، بلذاعة ومرارة ، ما سماه « كسل اللغة الفرنسية » ، مشيرا ، مثلا ، الى أن « البنك الفرنسي للمصطلحات العلمية لايملك حاليا سوى أربعين ألف (40.000) مصطلح ، بينما يملك البنك الألماني مليون مصطلح » ؟ فارق كارثي ! هوة سحيقة ! داهية دهياء ! مصيبة عمياء !

ان اللغة الأكثر انتشارا في الكون ، اليوم ، هي اللغة الأنجليزية . فالفرنسية لم تعد كافية . ويجب أن نضيف ، أيضا ، أن الطلبة يجب أن يكون لهم في الثانويات والمعاهد حق الاختيار بين لغات أجنبية عديدة ، على الأقل بين اللغات الأكثر حسما في عالم اليوم .

صحيح أن الانجليزية منتشرة ، بالفعل ، في متوسطاتنا وثانوياتنا . بيد أنه يجب أن تكون هناك أيضا الاسبانية ، لغة بلد مجاور ، بل وأمريكا اللاتينية كلها تقريبا . وهناك ، بالأخص ، الألمانية والروسية ، اللغتان العلميتان بالامتياز حقا . وهناك اليابانية ، اللغة التيكنولوجية بدون جدال ، والصينية ، اللغة التكنولوجية في المستقبل القريب جدا . وهناك ، أيضا ، البرتغالية ، لغة بلد مجاور آخر والبرازيل ، وأيضا ذات الصلات الكثيرة بالعربية ، بعد الاسبانية ، اذ أخذت هذه وتلك من لغتنا الكثير ، فضلا عن الكثير من اللغات الاسلامية مثل الفارسية ، والتركية ، والأردية وغيرها ، على الصعيد الثقافي والتاريخي المحض ، على الأقل ، والسواحلية ، لغة عشرات الملايين في افريقيا .

اذن من اللازم أن ننوع ، لا أن نقلص ، واضح ، اذن ، أني لست مع الازدواجية ، بل أنا ، في هذا المجال ، من أنصار التعددية ، قصد أن نفتح للتلاميذ والطلبة مجالا واسعا للاختيار بين الكثير من اللغات الأجنبية ، ونتيجة لذلك نوسع لبلدنا شبكة الاتصال المباشر بالعالم الواسع وامكانية البحث العلمي ، ومتابعة ما يجري في دنيا الناس ، ياناس !

ودائما في اطار التعليم يقصد بالازدواجية ، في الوقت الراهن ، التعليم المبكر ، منذ رياض الأطفال ، للغة أجنبية مع اللغة الوطنية ، على قدم المساواة . وسأذكر مثلا لهذا فيما بعد .

قبل استعادة ثلاثة بلدان مغربية لاستقلالها ، أي الجزائر وتونس والمغرب ، خصصت الادارة الاستدمارية عددا صغيرا محدودا جدا من الثانويات ، المسماة « مدارس » بالجزائر و « كوليج » بتونس والمغرب ، لهذه الازدواجية ، لكنها ازدواجية الفقير ، لأنها لم تكن تضم الشعب العلمية والرياضية ، وانما كانت تقتصر على الشعبة الأدبية وتقف عند « الاختيار الأدبي » لتكوين أعوان الادارة الاستدمارية بالأخص ... مع بكالوريا في الآداب تتبعها شهادة الليسانس في الآداب ، فقط ، والحقوق . « كما كان يجب » على الضحايا المستدمرة ، « ويحق » للاستدمار ... لكن هذه الطريقة لم تسلك في أية بقعة أخرى من العالم .

صحيح أنه تمت قرب الحدود الألمانية الفرنسية ، في مدينة صاريروكن بالتدقيق ، عاصمة منطقة الصار في ألمانيا ، تجربة تتمثل في انشاء ازدواجية ألمانية فرنسية انطلاقا من حديقة أطفال ، حديقة واحدة لاغير .

على أن هذه ليست سوى تجربة لم تبرهن بعد على نجاحها ، يدرس فيها بالألمانية والفرنسية ، بتوزيع متساو في الساعات والمواد ، ولكن لاتوجد ، حسب علمي ، ثانوية تطبق مثل هذه الازدواجية في فرنسا ولا في ألمانيا ، وفي في غيرهما من بلدان العالم .

ان أبسط قواعد التربية المقبولة والمطبقة في العالم تؤكد أن الطفل يجب عليه أن يبتدىء بتعليم لغة أمه والانطباع بها أولا قبل أن يشرع في تعلم لغة أجنبية . تلك هي الحال في فرنسا ، وفي نبرة ، ولدى الايروكويين والواقواقيين والمريخيين . فالازدواجية شيء وتعلم اللغات الأجنبية شيء آخر : الازدواجية هي من بقايا ما تعلمون ...

سؤال :

هل يتطلب وجود اللغة الوطنية واللهجات اعادة تعريف مفهوم لغة الأم ؟ بمعنى أن الطفل يتكلم أولا القبائلية والشاوية الى آخره .. في بعض المناطق ...

جواب :

ان اللهجات توجد أيضا في بلدان أخرى كفرنسا ، مثلا ، فلكل منطقة هناك لهجتها الخاصة ، حوالي عشر لهجات على الأقل ، والشيء نفسه ينطبق على ألمانيا ، وغيرها من الشعوب .

فعندما يقال لغة الأم نعني بالأخص مخارج الحروف ، بقصد النطق الصحيح السليم بالأصوات ، والنبر أو المدة على هذا المقطع أو ذاك ، مما يعيه الطفل مع حليب أمه .

ان القبائلية ، والشاوية ، والترقية ، وغيرها تشتمل كلها تقريبا على نفس الأصوات والنبرات الموجودة في اللغة العربية ، بحيث ان الطفل الجزائري يتعلم في هذه « المناطق » النبرة أو المدة والأصوات العربية ويكتسب النطق الجيد بها منذ طفولته الأولى . وليست هذه أبدا حال الأطفال الفرنسيين الذين « لغة أمهم » هي البروتونية ، والبسكية ، والأوفيرنية ، والغاسكونية ، والالزاسية ، والوالونية ، اللنغدوسية ، والكتلانية ، والفلاماندية ، والكورسيكية ، والبروفانسية ، وغيرها ، التي ليست لها دائما نفس المخارج الصوتية التي هي للغة الفرنسية ، لغتهم الوطنية المشتركة .

سؤال :

اذا كانت الفرنسية تعاني من تأخر واضح أمام لغات كالانجليزية والألمانية ، فكيف نتدارك هذا النقص ، ونصحح هذا الخلل ، بما أن اللغة الفرنسية هي اللغة الثانية ، أي اللغة الأجنبية الأولى ، عندنا ؟

جواب :

اني لا أقول بوجوب الغاء الفرنسية . انما لغة أجنبية كغيرها من اللغات ، وانما أصر على نجاعة بل ضرورة توسيع رقعة اللغات الأجنبية ، غير أنني ، قطعا ، كمواطن عادي ، لست موافقا أبدا على أن تكون الفرنسية ، أو أية لغة أجنبية أخرى ، هي اللغة الأجنبية الأولى آليا ورسميا ودائما ! فالتلاميذ الذين يختارون اللغة التي يفضلونها من بين قائمة موسعة من اللغات الأجنبية .

ففي الوقت الراهن يمكن أن نفهم أن تكون الفرنسية هي اللغة الأجنبية الأولى عندنا وفي مجموع بلدان المغرب العربي ... لأسباب تاريخية ، ومادية ، ونظرا الى التسهيلات التي تقدمها هذه اللغة بوجودها هنا في الساحة وتحدث الكثير من الجزائريين وغيرهم بها .

لكن الوضع السوي ، الطبيعي ، المعمول به في العالم ، هو أن يكون اختيار لغة أجنبية من حق التلميذ ، كما هي الحال في كل أرض الله ... ففي

ألمانيا ، مثلا ، لاتوجد لغة أجنبية أولى ، كما يقصد بها ، في منصب « السيدة الأولى » : ملزمة (بكسر الزاي) ، وملزما بها (بفتحها) ، ولازمة ، انما التلميذ هو الذي يختار لغة من بين عدد من اللغات ، وعلى العموم ، يفضل التلميذ الأنجليزية . لقد كانت هناك العربية أيضا في ألمانيا ، وان كانت بصفة اختيارية ، ولقد درستها ، مجانا ، في ثانوية موريتز أرندت ببون ، العاصمة الاتحادية ، خلال السنة الدراسية 1957 م – 1958 م .

سؤال :

هل يعني هذا أن تدرس جميع مواد التعليم باللغة الوطنية في بلدنا ؟

جواب :

انه الوضع الطبيعي في جميع البلدان ذات الأوضاع الطبيعية ... لغة مشتركة بين الجميع ، هي اللغة الوطنية ، ثم يأتي الاختيار من بين عدد كبير من اللغات الأجنبية ، أو ، على الأقل ، على مستوى المدن الكبرى ، مع توسيع هذه الطريقة بالتدرج الى كل منظومتنا التربوية والجامعية عبر الوطن .

عند الضرورة القصوى ، اذا ما ارتأينا ، على المستوى الرسمي ، فرض الفرنسية كلغة أجنبية أولى بصفة قاطعة دائمة ، فيجب ، في هذه الحال ، على الأقل ، أن نسهل للتلميذ اختيار اللغة الأجنبية الثانية . وهذا ، بطبيعة الحال ، مع ضمان تعميم لغة وطنية مشتركة ، أي اللغة العربية بالنسبة الينا ، مثلما هي الفرنسية بالنسبة الى الفرنسيين ، والألمانية بالنسبة الى الألمان ، والروسية بالنسبة الى الروس ، والوقواقية بالنسبة الى الواقواقيين ، والايروكية بالنسبة الى الايروكيين ، والمريخية بالنسبة الى المريخيين ....

سؤال :

ما هو دور المجمع الجزائري للغة العربية في هذا الاطار ؟

جواب :

دور المجمع الجزائري للغة العربية ، الذي صدر قانون تأسيسه باجماع الأصوات في المجلس الشعبي الوطني ، ونشر في الجريدة الرسمية ، هو دور كل مجمع لغوي : الحرس على اثراء لغته . ولكن ، اذا كان لويس الثالث عشر في رسائله الملكية لتأسيس الأكاديمية الفرنسية ، في يناير 1635 م قد كتب – أو بالأحرى جعل ريشوليو يكتب باسمه – أن « دور الأكاديمية الفرنسية هو جعل اللغة الفرنسية لا أنيقة فحسب ، بل قادرة أيضا على معالجة كل الفنون وكل العلوم » ، فدور المجمع الجزائري للغة العربية سيكون اعادة ذلك الدور الى اللغة العربية ، التي كانت قد أدته بجدارة ثم فقدته بتقصير أهلها ، أي استئناف القيام بذلك الدور الذي كان دورها في عصورها الذهبية .

هذا الاسترجاع سيكون بالعمل المنهجي الذي سيتمثل ، بالأخص ، في نحت وترسيخ المصطلحات العلمية والتكنولوجية الملائمة ، تلك التي تسمى الآن في العالم : « بنك المصطلحات » ، وذلك لجعل اللغة العربية قادرة من جديد على معالجة آخر ما يستجد في عالم المخترعات العلمية وتطورات التكنولوجيا العليا في أدق اكتشافاتها وأعجبها ، أو ، كما يقول نص القانون المذكور ، « لتعود من جديد آلة ابداع وأداة اختراع » ●

قدسية دماء الشهداء في شعرنا العربي المعاصر

أكرم جميل قنبس

لقد امتزج التاريخ العربي بدماء الشهداء ، الذين كانوا وجدان الامة الصادق ، وحملوا في قلوبهم الحب الوطني ، والنضال القومي ، من اجل الحرية والانتصار . وأمتنا العربية كانت ، وما زالت ، ولن تزال مدرسة للتاريخ ، ورمزا للتضحية والفداء ، وحصنا للمناضلين الذين ولدوا فوق تراب الشهادة ، فكان ايمانهم بالتضحية اقوى من سلاح الطغاة والعدوان ، لأن الشهادة ظاهرة من ظواهر تجدد الحياة المتدفقة ، كما أن الامم التي تبنى على غير الشهادة ، سيكون مصيرها الفناء والوباء ، أما الامم التي تعبد طريق حريتها بجماجم الابطال ، فانما تصنع من حولها سورا يكون الاساس في صنع الحرية والاستقلال .

ان الشهادة طريق لكل المناضلين وهي الضرورة الاساسية لكل نضال ثوري ، فما من أمة اتخذت الشهادة شعارا ، الا وانتصرت ، وان دلت الشهادة على شيء فانما تدل على أصالة الشعب وخلود رسالته ، وبلوغه أعلى مراتب الانسانية . والشهداء الذين يدافعون عن قدسية الوطن هم الشعلة التي تهتدي بنورها ، لأنهم رووا الارض بدمائهم الطاهرة . وكانوا المثل الاعلى في التضحية والفداء ان الشهيد هو رمز الامة المعبر عن نضالها وتطلعاتها نحو المستقبل ، ودماء شهدائنا هي التي روت الارض من أجل الخصوبة والغلال ، لتنبت في تربتها قناديل النور والنضال والحرية ، كما ان دماء شهدائنا هي التي تغذي روح الامة ، ونسغ حياتها ونضالها ، وهي التي تبعث الحياة في أقلام العظماء ، ليكتبوا التاريخ بصدق وايمان .

فنحن امة تستعذب التضحية والاستشهاد من أجل سلامة الوطن وحريته ، ومن أجل أن يعيش الانسان حرا كريما ، بل من أجل أن تعبر الاجيال القادمة الى بوابة الحياة هانئة سعيدة ، تتغنى بالحب والخير والجمال والحرية .

ان قوافل الشهداء التي تمضي قافلة تتلو قافلة ، تعلم ان مسارها طريق للشرف والاباء ، متخذة من مرابض الشهداء السابقين منارة خضراء تهتدي بظلالها لتتلمس طريق الحرية .

ان بلادا تمتلك رصيدا من الدم الحر

المناضل ، لا بد وأن يكتب لها الخلود والانتصار ، لأن القافلة التي تمضي الى عالم الخلود ستتبعها قافلة أخرى ،أشد ظمأ من سابقتها لشرب كأس الشهادة .

دفقة من دم الشهيد .. وينداح
صباح ، وتمحي ظلماء
أفأخشى على الطلائع تمضي
وصواها القبور و الشهداء
أفأخشى على بلادي وفيها
للبطولات ، للخلود ظماء (١)

ان جثث الشهداء التي تزرع الارض فداء وتضحية وثورة ، وتسقي مواسمها من دمها الحر لا بد وان تطلع فجراعربيا جديدا ، لأن سلاح الشهادة هو السلاح الامثل لحل قضايا الشعوب ، ونيل حريتها واستقلالها .

وبدوي الجبل ، يعتبر عطاء الشهيد فوق كل العطاءات التي يقدمها الانسان للوطن ، فلاأعظم ولا أجل من عطاء الشهيد ، لأنه يجود بالروح والدم ، ويضع جسده جسرا للثائرين والابطال ، ويمضي الى دنياه الاخرى مضرجا بدماه ، متلهفا للقاء ربه ، الذي وعده بالنعيم والفردوس .

بعطي الشهيد فلا والله ما شهدت
عيني كاحسانه في القوم احسانا
وغاية الجود ان يسقي الثرى دمه
عند الكفاح ويلقى الله ظمآنا (٢)

ان شجرة الكرامة لا ترتوي اصولها ، ولا تشمخ فروعها ، الا اذا سقيت بدم الابطال الميامين ، الذين يمشون الخيلاء فوق مناكب الدهر ، ويصفعون جبهة الموت ويجدون الراحة في خلودهم ، واللذة في استشهادهم .

لقد اعشوشبت الفيافي والبوادي من دماء الشهداء ، وامتلأ الكون برائحة الدم الذكي الذي عطر المجد العربي قديما وحديثا :

أعشب القفر حول مثواه ريا .
ن وفاحت عرارة وورادة . . .
وسرى الطيب يغمر العالم الرحب
فيندي طريفه وتلاده
هكذا المجد ان تموت قريرا
يا شهيداً يلذه استشهاده (٣)

اما الشاعر محمد الحريري فيتوجه بخطابه الى دماء الشهيد التي لطخت ثيابه وجسده ، فنبت الورد من بين أكمامه ، فشممنا تلك الرائحة العبقة التي فاحت برائحة الدماء الطاهرة .

هذا الشهيد الذي يصارع الموت ، وهو في الرمق الاخير من حياته ، عصر من دمه نشوة الاستشهاد وخمرتها ، ليغذي بها عناقيد الثورة والحرية ، وليمتد الضياء من بريق عينيه لعل الصباح عندما يذوق طعم الشهادة ، يكتب له الخلود والديمومة :

يا دماء الشهيد ضمي الشهيدا
والثميه وردا ، وشميه عيدا
وابعثي من لهاثه خيرلحن
واعقدي من دمائه عنقودا ،
وصلي بالصباح آخر لحظية
لعل الصباح يرجو الخلودا (٤)

وجراح الشهداء التي تجري أنهارا من الدم ، ينساب بين ضلوع الارض ليبعث بها الحياة فتخضر الطبيعة ، وتفرح السماء ، وتغرد العصافير ، وتتحول الارض الى جنة خضراء ، وارفة الظلال ، يعشقها البشر ، ويهتدي اليها الربيع ، لينثر خضرته وورده فوق صدرها الاحمر الخصيب ، فما جمال الطبيعة التي لم ترتوي تربتها من دماء الشهداء ؟..

يا دماء الشهيد بوركت نهرا
سرمديا لم ينقطع تغريدا
فعلى ضفتيك جنات عدن
لثم الصبح ظلها الممدودا
ماجمال الربيع ان لم ينمنم
من نثار الدماء وردا فريدا (٥)

ان تاريخ كل شعب من الشعوب يقرأ من خلال قوافل الشهداء التي نذرت ارواحها في سبيل حرية اوطانها ، ومن خلال اوسمة النصر التي زينت بها صدور الامة والتاريخ .

فمن دماء الشهداء تخصب الارض ، ويعبق الكون بالشذا ، وتسجل بطولات الشعوب ، ومن دماء الشهيد تنبت بذور الشهادة ، لتصبح اشجارا مقاتلة جذوعها في الارض ، وفروعها في السماء ، فيخصب الجيل الجديد بالمناضلين الذين يرفضون كل الحلول الاستسلامية ، وكل أشكال القهر والاستغلال ، ويعلنون الثورة التي تدك كل عروش الدخلاء والمتمردين على قوانين الحياة الانسانية ، وقيم الحرية فتنهار أحلامهم ، وتسقط نظرياتهم ، ويدرك الظالم بأم عينيه ، كيف يحني رأسه امام عظمة الشعوب وارادتها ، ويخرج وأنفه ممرغ في التراب :

يوم الشهيد تحية وسلام
بك والنضال تؤرخ الاعوام
بك والذي ضم الثرى من طيبهم
تتعطر الارضون و الايام
بك يبعث الجيل المحتم بعثه
وبك القيامة للطغاة تقام(٦)
وبك العتاة سيحشرون ، وجوههم
سود ، وحشو أنوفهم ارغام

ان ارادة الشعوب أقوى من كل أسلحة الدمار ، والغضب الجماهيري جزء من القوة الالهية ، التي هي سيف الحق المشرع ضد انظمة الظلام التي سيدوسها الشعب ، ويجرفها عندما يبلغ السيل الذبى .

ان يوم الشهيد عيد للامة والشعب ، لأنه يفرج الهموم ، ويزيل قتامات الدهر وظلماته ويبعث في النفس الانسانية الرضى والفرح والطمأنينة ، لانه يعبر عن الوعي الجماهيري لمصير الامة والوطن ، انه بدء لميلاد جديد ، لربيع جديد ، لحرية جديدة ، لجيل ثوري جديد:
يوم الشهيد بك النفوس تفتحت
وعيا كما تتفتح الاكمام (٧)

*

ان الشهيد هو الشجاع باقدامه ، الكريم بسخائه ، بدمه ، الامين على القيم ، الوطني الفذ ، في وطنيته ، انه لا يضارع في عظمته ، ولا يضارع في خلوده ، والشهادة طريق النصر والتحرير ودخر الظلم والعدوان ، فمن اكرم من الشهيد الذي ضحى بدمه فداء الامة والوطن ..
ان الشهيد خالد ، في ضمير الامة وفي ضمير اجيالها ، وخالد في صفحات المجد والتاريخ ، ولن يستطيع احد ان يمحو آياته البينات التي سطرها باقدامه وصبغها بدمه :
ولحظ الشهيد مشرق قبل موته
سيسطع لن تمحوه الحاظ غادر(٨)

ان الشهيد يستحق الاكبار والاجلال ، والمجد والخلود ، لأنه بلغ ذروة الكمال شجاعة وكرما وأمانة وغيرية ووطنية : بذل نفسه بشجاعة فائقة ، وقدم دمه بسخاء عظيم ، وحافظ على أمانة القيم الانسانية ، وأداها بغيرته ، وصان حدود الوطن ، وسقى تربته بالدم.

والهدف الذي يسعى اليه الشهيد هو ان يحيا وطنه حرا كريما ، وتسطع الشمس دافئة على ارضه العربية ، وتجلى كل قواعد الظلم والعدوان عن بطاحنا الغالية ، وتقطع كل الايدي التي تمتد الى شعبنا بالسوء والحقد والضغينة .

اننا نسعى الى نيل شرف الشهادة ، لنغسل وجه الوطن بدمائنا ، ونروي تربته الطاهرة لتشتد سواعد اجيال المقاومة ، وتحمل السلاح وتزج بنفسها في خندق النضال والتحرير من اجل الوقوف في وجه الاستعمار والصهيونية التي تتكالب هجماتها على ارضنا العربية ، فما اجمل ان يتحد الدم العربي ويطلع فجرا عربيا جديدا :
وخطانا خضبت كل الذرى ..
سعر الحقد خطانا والخضابا (٩)

*

اكرم جميل قنبس

الهوامش :

١ – سليمان العيسى – المجموعة الكاملة المجلد الاول – ٤١٤ – ٤١٥
٢ – ديوان بدوي الجبل ص ٢٢
٣ – انور العطار – من قصيدة الشهيد ملحق وزارة التربية حول الشهادة والشهداء ، ص ٢١
٤ – ديوان محمد الحريري – منشورات اتحاد الكتاب العرب ص ١٨٨
٥ – نفس المصدر ص ١٨٨
٦ – ديوان الجواهري – منشورات وزارة الثقافة – الجزء الرابع ص ٦٠
٧ – نفس المصدر ص ٦٧
٨ – ديوان الحريري ص ١٦٨
٩ – ديوان ابي سلمى ،دار العودة ص ٢٤٥

نيران على القمم

سيرة ذاتية الحلقة ٣٣

حقوق الانسان والمواطن

سعيد ابو الحسن

وركز الاخوة الذين تناوبوا على الخطابة نثرا او شعرا على هذه المواضيع المستقبلية ، وكان للمؤتمر صداه البعيد ، حماسة واستعدادا لدى الجماهير التقدمية وخوفا واحتياطا لدى القوى الرجعية . ولم أقف عند هذا الحد بل وجهت في ٢٣ نيسان ١٩٤٧ رسالة مضمونة الى القائد العام للثورة ضمنتها تفكيري المتعلق بالمرحلة ، منطلقا من نقاط هامة :

١ - ان تراث وطني نضالي ضخم للجبل كان للقائد الفضل الاول في تكوينه .

٢ - هذا التراث نادرا ما يشير اليه المؤرخون بل يطمسه الكثيرون منهم ، عامدين .

٣ - هذا التراث المجيد الذي كسبه لنا نضال السيف والشجاعة لا يحميه الا جهاد القلم والفكر الصادر عن علم وجرأة ومعرفة بأصول القول والسياسة ،

٤ - المنبر الطبيعي الى جانب ماكتبناه ونكتبه في الصحف هو المجلس النيابي حيث توضع التشريعات التي تصون التراث وتلزم الحكومة بوضع مناهج تدريسية تحقق هذه الصيانة .

٥ - ان النيابة ليست زعامة ، بل خدمة ،

٦ - ان على الناس ان يدركوا ان قوة الجبل الفكرية لا تقل عن قوته الحربية وان رأسماله العلمي لا يقل عن رأسماله الحربي وان ثروته برجال العلم الشجعان لا تقل عن ثروته برجال السيف الابطال .

٧ - ان القائد الذي وافق على خوض كل معركة كان يقدم عليها ابناء الجبل لايمكن الا ان يوافق على تشجيع روح النهضة الفكرية في الجبل ، وهذه النهضة تريد ان تمكن لكم ولثورتكم ولجيلكم ركائز راسخة في تاريخ العرب ومستقبل

العرب .

واعلنت رغبتي في ان ارشح نفسي للنيابة عن قضاء صلخد في الانتخابات المقبلة معتمدا على تأييد (عطوفته) الغالي وتأييد الجيل الجبلي الناهض " .

ورحت انتظر الجواب .

حدث هنا ما لم يكن في الحسبان ، كان احد سائقي السيارات من ابناء الجبل قد دهس امرأتين من محافظة درعا ، وبعد الحادث بأيام كان يمر بقرية الشيخ مسكين باص ينقل ركابا من السويداء الى دمشق او العكس . فأوقف اهالي الشيخ مسكين الباص واعتدوا على الركاب بالشتم والضرب ولاهانة وتصادفان الشيخ احمد الهجري الشيخ الديني الاول في الجبل كان في الباص ولحق به من الاهانة والضرب ما لحق لسواه . كان الاعتداء مستقبحا موغلا في الدناءة وحين ذاع النبأ في الجبل عم الهيجان جميع الاوساط .

واغتنم الناقمون على الوحدة الذين لم يفقدوا الامل بفسخها والرجوع الى (الاستقلال بالقطيع) اغتنموا الفرصة فلمعت في ذهن احدهم فكرة جهنمية ان يستغلوا النقمة ويصعدوها ويهاجموا محافظة درعا المجاورة هجوما عاما بالسلاح فيحدث شرخ عميق واسع لن يكون في مقدور احد ازالته ، ويعود ابناء الجبل الى التقوقع عازفين نهائيا عن الوحدة التي صورها الناقمون على انها السبب الحقيقي لما جرى : (لولاها لما كان ما كان) هكذا قالوا وركب احدهم فرسه وسار في مقدمة البيارق الحربية باتجاه بصرى الحرير عن طريق السويداء وبدأت الحشود تصل حتى بلغ عدد البيارق التي اصبحت قريبة من حدود محافظة درعا خمسة وثلاثين بيرقا تحتها مالا يقل عن خمسة الاف او ستة الاف محارب .

ازاء هذا الخطر المدمر كان لابد من وقفة حاسمة وكانت وقفتنا للحفاظ على الوحدة والقضاء على الردة ، لا تقل في اثرها عن مواقفنا السابقة حتى موقفنا يوم ٢٩ ايار ١٩٤٥،فتنادينا الى اجتماع عاجل واتصلنا بالمحافظ وقيادة الدرك وطلبنا القيام بعمل ما لوقف الاندفاعة الاجرامية . وتداولنا الرأي فحصلنا على قرار عاجل ، اهم نقاطه :

١- وقف الهجوم موقتا .

٢ - الدعوة الى مؤتمر وطني خلال ٢٤ ساعة

٣ - القبول بما يقرره المؤتمر وفرضه على الجميع .

واقترحنا ان يكون الاجتماع فيمدرج شهبة لاتساعه وتمتعه بمزية التنظيم ، حيث يجد الجميع مكانا للجلوس مشرفا على المنصة ولا يحجب كبير صغيرا حسب التعابير العشائرية .

وحشدنا ثلاثمائة من خيرة اخواننا الشبان ليحضروا المؤتمر ونحن نتمتع في شهبه ، بموقف متفوق .

وفي الموعد المحدد ، ابتداء من الظهر ، حضر المدعوون : سلطان في الطليعة ، والمحافظ (الامير حسن) وقائد الدرك ، زيد اخو سلطان ، وجميع الاشخاص المعروفين في المحافظة .

وحين بحثوا جدول الاعمال ، اي اسماء الخطباء ، طلبنا اليهم ان يحسبوا حساب الشباب بكلمة ، وان تكون هذه الكلمة

اخر الكلمات .

وبدأت الخطب العنترية : " لايسلم الشرف الرفيع من الاذى ، والسيف اصدق انباء من الكتب ، وما زلنا نحن كما كنا - الخ ..

وكنا قد احتللنا الصفوف المتوسطة من المدرج ، وكنا نراقب انعكاسات الكلمات على الوجوه ، فلاحظنا علامات السرور والغبطة على وجوه الناقمين على الوحدة وعلامات الامتعاض على وجوه الاخرين، وهم الاكثرية ، هم الشعب.

واعلن عريف الحفلة : كلمة الشباب يلقيها فلان (انا) فوقفت ، وبدأت خطابي وشمس العصر على رأسي تماما ،وانا لا اشعر بالشمس ولا بشيء غير الهدف الذي اردناه : افشال المؤامرة ، استعرضت مراحل نضال الجبل ، المرحلة العشائرية ضد البدو المغيرين العابثين ، ضد اللصوص ، وبين عائلة وعائلة ، المرحلة الاقليمية لدفع الاعتداءات الحاصلة من الجوار ، ثم مرحلة النضال ضد الدول المستعمرة ، ضد تركية ، ضد فرنسة ، واننا بعد هذه المرحلة وجلاء اخر جندي من جنود الاحتلال صرنا محافظة سورية تطبق فيها القوانين واصبح للوطن جيشه الوطني الذي يتولى حمل السلاح ويدافع عن البلاد ، وهذا الجيش مؤلف من ابناء جميع المحافظات ، فهو يمثلها جميعا ، بعد هذه المرحلة لم يعد من حقنا ان نحمل السلاح الا ضد الاجنبي وبالتنسيق مع جيشنا ، اما الخلافات التي تقوم في الداخل فيجب ان تترك للقانون والنظام، اما علاقاتنا بحوران السهل وسكانه فهي علاقات جوار واخوة وان الرابطة القومية التي تربطنا باخواننا اقوى من اية رابطة عشائرية او مذهبية ، نحن وهم عرب قبل كل شيء وفوق كل شيء ، والقول بأن العار لا يغسله الا الدم ، قول حق يراد به باطل ، فأين العار الذي تتحدثون عنه ، ان الكرامة لا تصان الا لا تصان الا بالكرامة ، يجب ان يعتذر كرام الحوارنة عما فعله سفهاؤهم، هذه وحدها هي الطريقة التي يقبلها العقل والمنطق ويقرها النظام ، وهذا العصر الذي نحن فيه يتطلب عقلية جديدة نبرهن بها على اننا متحضرون نعرف كيف نحافظ على استقلالنا الذي حصلنا عليه بدماء الشهداء الذكية وارواحهم الغالية .

الصمت الذي ساد المؤتمر، الاصغاء الاستحسان ، الذي بدا على الجميع ، التصفيق الطويل الذي قوبل به الخطاب الطويل ، الطويل ، عند انتهائه (اقدر انه استمر اكثر من ساعتين حتى اسمر لوني تماما من الشمس) كل ذلك دل على اننا كسبنا الجولة .

وقف على الاثر توفيق الاطرش وقال " اننا نؤيد كل كلمة قالها الاستاذ ..". وتتابع المؤيدون واقترح تشكيل لجنة لوضع صيغة بيان يذاع فورا لتعود الحشود الى قراها . وتشكلت اللجنة على النحو التالي : .

سلطان الاطرش - رئيس شرف .

الامير حسن الاطرش - رئيسا .

يونس جربوع (قاض) ، جميل ابوعسلي (محام) عز الدين التنوخي (مدير تربية) نجيب حرب (صحفي) كرم الحناوي ، مدير داخلية) فرع العصبة - اعضاء.وطالب الجميع ان اكون أمين سر

هذه اللجنة - وعدنا من شهبة الى السويداء لاصدار البيان • ونزل سلطان في بيت المحافظ " المقر الرسمي المجاور لدار الحكومة " ، واستدعاني للاجتماع به ليلا •

كنت اعتقد ان الاجتماع الثنائي سيخصص لوضع صيغة البيان • الا ان قائد الثورة بدأ يحدثني عن رسالتي اليه ، ودار بينه وبيني الحوار التالي على وجه التقريب :

هو : لقد اخذت رسالتك واحببت ان اجيبك شفهيا ، •

أنا : شكرا - ولعلك اقتنعت بوجهة نظري في موضوع الرسالة •

هو : كنت اريد ان انفذ مقترحاتك ولكن الشعب يريد امرا اخر • الشعب يطالب بترشيح اخي علي للنيابة عن قضاء صلخد •

أنا : من هو الشعب الذي تتحدث عنه ؟ ياباشا ؟

هو : لقد وردتني رسائل من القرى الفلانية وسماها •

أنا : (مبتسما) انني استغرب ياباشا ان تعتبر هذه القرى ممثلة للشعب ، لترشيح من يمثله في المجلس النيابي ، ولكنك لم تعتبرها كذلك يوم اردت ان تعلن ثورتك ضد الاستعمار • لقد ذهبت يومها الى عرمان ، وملح ، ومثان لأنك تعرف وزنها الشعبي •

هو : هذا صحيح ولدي ايضا بعض الرسائل من هذه القرى •

- مع ذلك سوف نعقد اجتماعا عائليا قبل مغادرتي السويداء ونتخذ قرارا نعلنه للجميع •

أنا : أنت وشأنك يا باشا ، الا انني طالما قلت لك، انك شجاع ، وتحب الشجعان ، فأرجوا ان تتقبل ملاحظاتي بهذه الروح ومن هذا المنطلق •

- اولا - نحن نستغرب ان نقول انك ستعقد اجتماعا عائليا ، فأنت في نظرنا ، فوق العائلات والعائلية ، ومنطق الثورة هو غيرمنطق العائلية ، فعائلتك لم تكن كافية لتقاتل بها الاستعمار ، ولذلك لجأت للشعب ، بل اكثر من ذلك ، الذين ناووُا الثورة وحاربوك كانوا من عائلتك• بينما الالاف الذين قاتلوا وانتصروا واستشهدوا كانوا من الشعب الذي يطلب من يمثله ، يمثل تطلعاته •

- ثانيا - انني اقدر اخاك (علي) حق قدره ، إقدر محاربا شجاعا ، خلوقا ، ولكن الا ترى معي انه ابعد ما يكون عما يجب ان يكون عليه النائب ؟ حين تكون هي سيارة وتتعطل ها، تطلب فلاحا ليصلحها او تطلب خبيرا بالميكانيك والكهرباء ؟

- ثالثا - الا ترى معي اننا على ابواب مرحلة جديدة تتطلب مؤهلات جديدة على مستواها •؟

هو : سآخذملاحظاتك هذه بعين الاعتبار في الاجتماع وانا مضطر لعقده قريبا

بعد هذا ، حضراعضاء اللجنة الاخرون ووضعت صيغة البيان الذي انهى الفتنة وصان البلاد من حرب اهلية ماكان احد يدرك ابعادها •

قبل ان يعقد الاجتماع العائلي المرتقب حدث احتكاك بيني وبين الامير حسن مصادفة خارج السويداء : لقد كنا في مأتم اسبوعي في قرية (عتيل)وكانت العادة تقضي بتناول الطعام في منازل القرية ، وفي المضافة التي دعينا اليها

كان عدد كبير من المدعويين البارزين منهم الامير حسن وعدد من رجالات هيئة الشعب الوطنية • وبعدتناول الطعام قدم المضيف (المعزب) حبة – كرميل – لان الزمن لم يكن زمن فواكه ، اذ يقدم العنب والبطيخ ، عادة بعد الطعام •• وكانت حبة الكرميل تحتوي على ورقة صغيرة تحمل احدى العبارات (حكمة – مثل – شطر بيت شعر – الخ ••) وفيما أنا اقرأ العبارة التي وجدتها في جيبي خاطبني الامير حسن قائلا :

– ماذا في ورقتك ، يا استاذ ؟

– من صبر ، ظفر ، يا امير •

وكانت هذه العبارة هي فعلا ما قرأته على ورقتي •

– لكن ما رأيك لو طلع لك : " في التأني السلامة وفي العجلة الندامة "؟

– التأني في القرن العشرين ، يا امير، جبانة •

– اسمع يا استاذ ، ان الشعب الذي تتحدث عنه وتكتب عنه ليس موجودا الا في مخيلتك ، انه لن يوجد قبل عشرين سنة من الان ••••

– لقد ابتعدتم عن الشعب ، يا امير حتى صرتم لا ترونه ، وانا لا استغرب ذلك ، الا انني مستعد ، اذا اقتضى الامر ، ان اريك هذا الشعب في اقل من عشرين يوما ، بدلا من سنواتك العشرين •

كان الجميع ينصتون ويتابعون الحوار ، وفي المضافة حوالي مئة شخص ، وكلهم كانوا قد شهدوا كيف بدأ الحوار بمبادرة مقصودة من الامير وانه قصدني بالذات لمعرفته التامة بما امثل من قوى • أفلم نقم معا بعملية ٢٩ ايار ١٩٤٥؟

وعندما وصل الحوار الى المساس بالشعب هب السيد يوسف العيسمي وهو من رجالات الثورة البارزين ومن اركان الهيئة الشعبية فقال :

– "لا يا امير ، هذا كثير، نحن لا نسمح بأن تتحدى الشعب على هذا النحو ، وسترى الشعب في اسرع من لمح البصر عندما تدعو الحاجة ؟

وتدخل مواطنون كثيرون معلنين احتجاجهم ثم انصرف المدعوون وسط ضوضاء اختلط فيها الحابل بالنابل •

سعيد ابو الحسن

رحلة الشاعرة عزيزة هارون

يوسف عبد الاحد

في حي القلعة بمدينة اللاذقية أبصرت النور الشاعرة عزيزة هارون ابنة الحاج عمر هارون سنة ١٩٢٣ ·

وفي الثاني عشر من شهر شباط سنة ١٩٨٦ ، توقف قلب الشاعرة بهدوء ، بعد صراع مع الحياة القاسية والمرض والالم ، وبرحيلها المفاجئ انطفأت تلك الشعلة المتوهجة الى الابد وتوقفت عن العطاء ، الا أن آثارها ما تزال مبعثرة في بطون المجلات والصحف وعلى أشرطة التسجيل ·

بدأت رحلتها مع الشعر في سن مبكرة ، ونشرت أولى قصائدها منذ اربعين سنة ، ففي العدد الاول من مجلة (القيثارة) الصادرة في اللاذقية في حزيران ١٩٤٦ ظهرت قصيدتها (خمرة الفن) وأول قصيدة نشرت لها كانت بعنوان (زهرة ذابلة) قالت :

" بنت الطبيعة ما دعاك
الى الذبول المسرع
فلئن حزنت على الندى
فخذي الندى من أدمعي
والشعر عندي روضة
بجمالها فتمتعي
قلبي اليك هدية
والشعر أثمن ما معي
ولهت قلبي بالاسى
ذكرتني في مصرعي

* * * *

لم تجمع قصائدها ليضمها ديوان رغم الحاح الكثيرين عليها كانت في كل مرة ترجئ هذا الموضوع الى ان عاجلتها المنية قبل ان تقوم بعملية الجمع والنشر فتركت في نفوس محبيها ومعارفها غصة حزن وألم ·

كان لقائي الاول معها في منزل صديقتها الحميمة السيدة الاديبة الفة الادلبي يوم ٣٠/٥/٩٦٢ وطلبت منها آنذاك ان تحدثنا عن سيرة حياتها ونشأتها فأمسكت بالقلم وخطت بيدها هذه الكلمة التي تصف فيها رحلتها الشاقة والمريرة منذ فجر تفتحها للحياة وحتى وفاتها :

قالت :

" ولدت في اللاذقية سنة ١٩٢٣ درست دراسة خاصة في منزل والدي· تألمت وأغنتني الالام فأحسست بآلام الاخرين وأحببت آلامهم · تفتحت للالم قبل أن أتفتح للحياة وكافحت في سبيل شعري الذي أسكب فيه أحلامي وآمالي وحبي ، والذي تبدو فيه حياتي كلها منذ فجر صباي الذي تألم في غربة مريرة :

" غربتي كانت مريرة
في بلادي ··

وجهادي عندما كنـــت
صغيـــرة ..
يا جهـــادي
وبياضي غاب في دنيـا ســوادي ..
بخرافات كثيـــرة
عصبوا عيني لم ألمح في الدنيـــا
سوى دار صغيرة
فتوغلت باحساسي بقلبي بالبصيرة
فعرفت الكون آلاما واطماعـــــا
حقيـرة ..
ولمحت الكون جنات نضيرة

* * * *

كنت في حزني غريقة
وبرغم السجن كانت لي طريقة
لحن عصفور جريح يتألم
حالم في نعمة الابداع ملهم
يرسل اللهفة في جرح الحياة للحياة
ويصلي للاله بطفولة ويغني للبطولة
" عزيـــزة "

١٩٦٢/٥/٣٠

* * * *

بدأ اهتمامي منذ ان تعرفت بهـــا ، وأخذت أجمع قصائدهـــا التي كانت تنشرها بين الحيـــن والآخر في الصحف والمجلات ، وقـــد تجمع لدي باقة جميلة من شعرهـــا العذب الرقيق .

أنني أهيب بالشـــعراء والكتاب ان يبحثوا بين أوراقهم عن قصائدها المتناثرة والشاردة ليتم جمع انتاجها الشعري الكامل حتى يرى النور في القريب العاجل وذلك تكريما لها ، وتقديـــرا لأدبها المعطاء ، وتخليـــــدا لذكراها .

بيبلوغرافيا

عزيزة هارون

اعداد يوسف عبد الاحد

١ ـ شعري من ألوان حياتي وملهمي ألمي ، نجيب رويحة مجلة السنابل ١٩٥٩/١/٣٠ ـ عدد ٢٤٤

٢ ـ مع الشاعرة عزيزة هارون ـ عيسى فتوح ـ مجلة (دنيا المرأة) نيسان ١٩٦١ العدد (٤)

٣ ـ عزيزة هارون تبيع ديوانهـــا الشعري ـ يوسف المحمود جريـــدة الوحدة ١٩٦١/٤/٩ ـ العدد ٠٦٩٦

٣ ـ كيف صارت الشاعرة عزيـــزة هارون مقدمة برامج في التلفزيون عدنان طه ـ جريدة صوت العـــرب ١٩٦١/٨/١٦ العدد (٢١٥٨)

٥ ـ ندوة فكرية شعرية في منتدى سكينة الادبي ـ ياسين رفاعيـــة جريدة (الاخبار) ١٩٦١/٩/١١العدد ٥٦٧٧

٦ ـ دردشة مع الشاعرة عزيـــزة هـــارون جريدة الايام ٩٦١/١٢/٤ العدد ٧٤٧٧

٧ ـ عزيزة أصبحت موظفة ـ جريدة النصر ١٩٦٢/١/٣١ العدد (٥٠٩٩)

٨ ـ الحب والثورة في شعر عزيـزة هارون ـ عيسى فتوح مجلة الحسناء ١٩٦٢/٦/١٩ العدد (٤٢)

٩ ـ عزيزة هارون تقول : لمـاذا تطلبون شعرا حرا من امرأة مقيدة ـ عفراء ميهوب . جريدة تشـــرين ١٩٧٨/٥/٨ ـ العدد (٧٧٧).

١٠ ـ لقاء مع الشاعرة عـــزيـزة هـــارون ـ هاشم غنام جريدة البعث ١٩٨٢/١/٢٠ العدد ٥٧٨٧

١١ ـ كتاب " مشاركة المرأة فـي الحياة العامة " في سورية تأليـف نبيلة الرزاز ـ ص (٢٠٩) .

١٢ ـ الشاعرة عزيزة هارون :أعانق

الشعر بلهفة لأنه الحب الحقيقي .
جريدة (الرأي العام) الكويتية ١٩٨٠/٥/١٥ العدد (٥٩٢٣) .
١٣ - في شعري كانت المرأة هي الحرمان التواق الى الحياة والحرية والزهرة السجينة المتمردة على سجنها بقلم :هالة الاتاسي ، مجلة المرأة العربية .
١٤ - مع شاعرة الشمال عزيزة هارون الدكتور جمال الدين الرمادي .
١٥ عزيزة هارون - امرأة كان استاذها الشعر بقلم قدري قلعجي
١٦ - الشاعرة عزيزة هارون تدافع عن كبرياء الانوثة بقلم نقولا قربان - مجلة (الرسالة اللبنانية الرثاء :

---

١ - الشعر يا اماه باب الاسى — يوسف المحمود . جريدة الثورة ١٩٨٦/٢/١٤ العدد ٧٠٠٧
٢ - وفاة الشاعرة عزيزة هارون ، عيسى فتوح ،مجلة (هنا دمشق) ١٩٨٦/٢/١٦ العدد ٢٣١ .
٣ - رحيل الياسمين عقيفة الحصني جريدة (البعث) ١٩٨٦/٢/١٨ العدد ٦٩٩٤
٤ - و .. رحلت عزيزة هارون — وليدمشوح جريدة البعث ١٩٨٦/٢/١٨، العدد ٦٩٩٤
٥ - عزيزة هارون شاعرة أبعد من العمر وأقرب من الروح جريدة

الثورة ١٩٨٦/٢/٢٣ العدد ٧٠١٥
٦ - المراثي - الدكتورة ناديا خوست . جريدة تشرين ١٩٨٦/٢/٢٠، العدد ٣٥٠٦ .
٧ - رحيل البنفسج - علي كنعان جريدة الاسبوع الادبي - ١٩٨٦/٢/٢٠ العدد (٤) .
عزيزة .. (قصيدة) غازي الجندلي جريدة البعث ١٩٨٦/٤/٢٣ عدد ٧٠٤٦
٨ - عزيزة .. (قصيدة) غازي الجندلي جريدة البعث ١٩٨٦/٤/٢٣، عدد ٧٠٤٦ .
٩ - رحيل الشاعرة عزيزة هارون، وداد سكاكيني . جريدة البعث ١٩٨٦/٢/٢١ العدد (٦٩٩٧) .
١٠ - عزيزة هارون الشاعرة التي ودعناها على غير انتظار جريدة الثورة ١٩٨٦/٢/١٦ العدد ٧٠٠٩
١١ - عزيزة هارون : الرحيل ونص القصيدة الاخيرة - اديب عزت ، جريدة الاسبوع الادبي - ١٩٨٦/٢/٢٠ العدد (٤) .
١٢ - عزيزة هارون نبع العطاء والحنان - رجاء الزين مجلة المرأة العربية ١٩٨٦/٢/٢٠ .
١٣ - ستظل عزيزة هارون الشاعرة الاولى في الادب الحديث - احمد الجندي - مجلة المرأة العربية ١٩٨٦/٢/٢٠ العدد (٢٨٠)
١٤ - عزيزة هارون : نرجسة صفقها الالم مجلة (الى الامام)١٩٨٦/٣/١ العدد ٩٥٨
١٥ - الى الشاعرة عزيزة هارون (قصيدة) انور الجندي جريدة حمص ١٩٨٦/٣/٧ العدد ١٦٧١
١٦ - عزيزة هارون شاعرة البوح المجرح - سعيد ابو الحسن مجلة الثقافة الاسبوعية ١٩٨٦/٤/١٩ العدد (١٦)
١٧ - في ذكرى رحيل عزيزة هارون، الندوة الثقافية النسائية بدمشق تتبنى تكريم الشاعرة عزيزة ، جريدة البعث ١٩٨٦/٤/٢٩ العدد ٧٠٥١

الورقة الثامنة

الفارابي

(٧٨٠-٩٥٠)

أحمد سنبل

هو ابو النصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ . ولد في فاراب من أعمال فارس . أكب على الدرس وتعلم اللغات فأتقن الفارسية والتركية والعربية والكردية .

انتقل الى بغداد وعمره يناهز الخمسين عاما . في هذه المرحلة ،مرحلة النضج الكامل التقى بالباحثين والمناطقة واللغويين ، فدرس المنطق على يد أبي بشر متى بن يونس فتفوق عليه . بعدها توجه الى حران ليأخذ المنطق عن يوحنا بن حيلان بعد أن أتقن الفلسفة ، سمي ب (المعلم الثاني) على اعتبار ارسطو المعلم الاول . ثم رجع مرة أخرى الى بغداد ليطلع على علوم الفلسفة ، مكبا على دراسة أرسطو ، وقد قرأ كتاب النفس لأرسطو ، ويقول عن هذا الكتاب : (اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة) . وقد ألف ما ينوف عن عشرين كتابا في بغداد .

ثم انتقل الى دمشق عام ٩٤١ ، طالبا العزلة في بساتينها ، فاشتغل ناطورا لأحد البساتين ،وكان في الليل يسهر دارسا أو مؤلفا ، على ضوء مصباح الحارس . ثم اتصل بسيف الدولة الحمداني في حلب فضمه الى بلاطه ، وجعله في عداد غلمانه و أدبائه ، آثر أن يعيش عيشة الزهاد في بلاط سيف الدولة مكتفيا بالقليل . اصطحبه سيف الدولة في حملته على دمشق ، حيث توفي في دمشق عام ٩٥٠م وله من العمر ثمانون عاما . أكرمه سيف الدولة فصلى على جثمانه ، دفن في دمشق خارج الباب الصغير .

شخصيته وآثاره :

كان (المعلم الثاني) زاهدا في العالم ، محبا للعزلة والتأمل ، واسع الثقافة ، لا يترك علما في زمانه الا ألف فيه ، أنشأ مذهبا فلسفيا .

ترك لنا مؤلفات ضخمة ، أشهركتبه

* كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة .
* كتاب السياسات المدنية .
* احصاء العلوم .
* رسالة في العقل .

ويذكر تاريخ الفلسفة ، جروفاخوري ص ٣٧٦ ما يقرب من عشرين مؤلفا للفارابي ، واذا ألقينا نظرة سريعة على مؤلفات الفارابي نجد أغلبها على شكل شروح أو تعليقات على فلسفة أفلاطون وارسطو ، وغيرها ، تناول فيها المنطق والطبيعيات والنواميس والاخلاق وما بعدالطبيعة .

فلسفته :

ألح على فكرة أن الفلسفة واحدة ، وأن الحقيقة واحدة وان تعددت الاراءفيها ودعم اصراره هذا في رسالته (كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين افلاطون الالهي وأرسطو) . فهو يعتقد ان لا خلاف بين أرسطو وافلاطون ، وان كان هناك خلاف فهو سطحي ، ويقول في هذا المجال : (لما رأيت أكثر أهل زماننا قدتخاصموا وتنازعوا في حدوث العالم وقدمه ، وادعوا أن بين الحكيمين المقدمين المبرزين اختلافا في اثبات المبدع الاول وفي وجود الاسباب منه ، وفي أمر النفس .. وفي كثير من الامور المدنية والخلقية والمنطقية أردت في مقالتي هذه ان أشرح في الجمع بين رأييهما ، والابانة عما يدل فحوى قوليهما ، ليظهر الاتفاق بينماكانا يعتقدانه ، ويزول الشك والارتياب عن قلوب الناظرين في كتبهما (١) . وينتهي الى القول ان الاختلاف ليس بين الحكيمين ولكن (لأن كل هذه معان لطيفة د قيقة تنبه لها المتفلسفون وبحثوا عنها واضطرهم الامر الى العبارة عنها بألفاظ قريبة من تلك المعاني ، ولم يجدوا لها ألفاظا موضوعية مفردة يعبر عنها حق العبارة من غير اشتراك يعرض فيها) .

وقد حاول بجهده الفكري السخي ان يوجه الفلسفة الى السياسة ، فيجعل الفلسفة هي السياسة والسياسة هي الفلسفة ، وقد تجلى ذلك في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) .

ولا شك في أن الفارابي قد أبدى في توسطه بين الحكيمين مقدرة حقيقية وبذل جهدا صادقا ، فقد اتبع في توفيقه طريقة علمية قائمة على مقارنة نصوص الحكيمين وعلى تقصي الافكار المنثورة هنا وهناك في كتبهما . ولم يعتمد على أقوال الناس في الحكيمين ولا على ما أثر عنهما بل راح يطلب المصادر وينهل من الينابيع في بحث وعمق نظر . الا ان محاولة الفارابي قامت على أساس واه هو اعتقاده بوحدة الفلسفة ، ومن ثم فقد كانت فاشلة لبعد ما بين ارسطو وافلاطون في الرأي الفلسفي ، ثم انه اعتمد في توفيقه على كتاب ايثيولوجيا اي الربوبية منزلقا مع من انزلقوا ونسبوا الكتاب لارسطو وهو أحد أجزاء تاسوعات افلاطون . فوجد فيه من آراء الافلاطونية ما ساعد وهمه وشجعه على التقريب والجمع .

ولئن أخفق الفارابي في محاولته هذه فقد خط الطريق واضحة لفلاسفة العرب في الاختيار ومحاولة التدقيق ، وفي التقريب بين أرسطو والمعتقدات الاسلامية وفي جعل أرسطو في أصل الفلسفة الاسلامية . أما قضية التوفيق بين الفلسفة والدين الاسلامي فقد عالجها الفارابي كما عالج قضية التوفيق بين أرسطو وأفلاطون ،وقال ان الدين المحمدي لا يناقض الحكمة اليونانية ..) عن الفلسفة العربية ص ٣٨٤ و ٣٨٥ .

الله :

يقسم الفارابي الموجدات الى قسمين ، (وليس ثم سوى هذين الضربين من الوجود) . القسم الاول : ممكن الوجود . والثاني : واجب الوجود .

الممكن الوجود : وهو واجب الوجود بغيره ولا بد من وجوده ولكن بعلة اوسبب ، وهذا الممكن الوجود يهدينا الى الموجود الاول وهو الله ، كالنبتة التي هي موجودة ولكن لا يمكن ان تتم عملية الانبات فيها الا بعد توافر الضوء والماء

أما واجب الوجود : وجوده ضروري، فلولا وجوده لا قيمة لغيره .. أفلا يكون هو الله ؟ ؟ ؟ هذا الذي اذا (فرض غير موجود لزم منه محال .ولا يجوز كون وجوده بغيره ، وهو السبب الاول لوجود الاشياء) .

ولكن : ما هي طبيعة الله ؟ ؟

ان الله هو الوجود التام ،المنزه عن كل نقص ، ازلي ، (ولا يمكن ان يكون وجود أصلا مثل وجوده) خلو من كل مادة ، ولا أيضا له صورة لأن الصورة لا يمكن ان تكون الا في مادة . ولو كانت له صورة لكانت ذاته مؤتلفة من مادة وصورة ..) والله هو المعرفة الواضحة الدقيقة ، والله هو لا متناه في الكمال والوجود ، ولو تحررنا من مادتنا فاننا نستطيع رؤية الله .

ويتمتع الله بصفات عدة : فهو (بجوهره عقل بالفعل) ، وهو حكيم (لا بحكمة استفادها بعلم شيء خارج عن ذاته بل في ذاته كفاية في أن يصير حكيما بأن يعلم ذاته) وهو حي (وانه حي وانه حياة) . وهو حق ، لكونه (معقول صادف به الذي عقله الموجود على ما هو موجود) ، وهو مغتبط (يحب ذاته ويعشقها) . وهو عقل خالص (بجوهره عقل بالفعل لأن المانع للصورة من ان تكون عقلا وان تعقل بالفعل هو المادة التي يوجد فيها الشيء ، فمتى كان الشيء في وجوده غير محتاج الى مادة كان ذلك الشيء بجوهره عقلا بالفعل .. يعقل ذاته فيصير بما يعقل من ذاته عاقلا وعقلا بالفعل ..) (٢)

نظرية الفيض :

لقد دار نقاش طويل حول طبيعة الله والصفات التي يتصف بها ، والعلاقة الجدلية بين الله والكون . هذا ما أدى الى نزعة عقلية من جهة ، ونزعة مادية تقرب الافكار للناس كي يفهموا طبيعة الله . وقد لفت هذا النقاش نظر الفارابي فكان له الموقف الذي يريد أن يجمع بين الموقفين السابقين ، لذلك كان لابد له من أن يقسم الموجودات الى قسمين: ممكن الوجود ، وواجب الوجود .

أما الممكن الوجود فهو (الذي لا بد لوجوده من علة او الذي اذا وجد كان واجب الوجود بغيره ، كالنور الذي لايوجد بالفعل الا اذا وجدت الشمس ، وهو غير ضروري الوجود بطبيعته ، أما اذا وجدت الشمس فهوواجب الوجود بغيره وهذا الممكن الوجود برهان على وجود

العلة الاولى اذ لا بد للاشياء الممكنة من انتهائها الى شيء واجب هو الموجود الاول اذ ان سلسلة الممكنات تحتاج ، مهما امتدت ، الى من يعطيها الوجود لأنها لا تستطيع أن تعطي ذاتها الوجود)(٣)

وأما واجب الوجود بذاته فان (فرض غير موجود لزم منه محال ، ولايجوز كون وجوده بغيره ، وهوالسبب الاول لوجود الاشياء)(٤) .. هو الله .

ثم بعد أن يصل الفارابي الى هذه النقطة وهي الله فانه يبحث في طبيعته ، فهو الوجود التام ، البرىء من النقص ، الخالي من الصورة والمادة .. القديم .. الازلي .. البسيط غير المركب . الغير محدود . ثم ينتقل الى صفاته : فهو معقول بوجوده ، هو العقل والمعقول ، الحكيم ، الحق ، فاذا (كان الله واحدا غير متغير ، عقل ، بعيد عن المادة لا يحتاج في وجوده وبقائه الى غيره ، مباين بجوهره ككل ماعداه ، لا شبيه له ولا مثيل ، ولا ضد ولا ند ، اذا كان كذلك فما صلته بالمتعدد والمتغير ، وما علاقته بالمادة التي تحتاج في وجودها وفي بقائها الى الغير (٥)..؟؟

كما ان (نظرية الفيض عند الفارابي هي اجابة على مسألة كيفية صدور العالم عن الله . ومشكلة وجود الله ترتكز على معالجة أربعة أمور هامة هي :

ا ـ هل العالم مبدع ؟

ب ـ هل كان الابداع أزليا أم محدثا ؟

ج ـ كيف كان الابداع ؟

د ـ ماهي درجات الموجودات ؟

وجاءت الاجابة على السؤال الاول في البراهين التي قدمها لنا الفارابي على وجود الله . وخاصة عندما جعل العالم عبارة عن مجموعة كائنات ممكنة الوجود بذاتها ، وهي بحاجة لكائن واجب الوجودبذاته تستمد منه وجودها الخاص (٦)

ولكن ما هو الفيض ؟ ؟ ؟

ان الله حين يعقل ذاته فيصدر العالَم بعلم منه ، ويقول الفارابي في كتابه (أهل المدينة الفاضلة) قولا يخدمنا في هذا المجال ، وبشكل خاص ما جاء في ص ١٩ : (ظهرت الاشياء عنه لكونه عالما بذاته ، وبأنه مبدأ النظام الخير في الوجود على ما يجبان يكون عليه . فاذا علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه .. لا يكون وجود ما يوجد عنه سببا له بوجه من الوجوه ، ولا على أنه غاية لوجود الاول كما يكون وجود الابن من جهة ما هو ابن غاية لوجود الابوين من جهة ما هما أبوان . يعني ان الوجود الذي يوجد لا يفيده كمالا ، كما يكون لنا ذلك عن جل الاشياء التي تكون منا ، مثل انا باعطائنا المال لغيرنا نستفيد من غيرنا كرامة او لذة او غير ذلك .. فالاول ليس موجود لأجل غيره ، ولا يوجد به غيره حتى يكون الغرض من وجوده أن يوجد سائر الاشياء فيكون لوجوده سبب خارج عنه) .

لقد بذل الفارابي جهدا سخيا من أجل التوفيق بين الحكيمين : (افلاطون) و (ارسطو) انقاذا للفلسفة من ان تكون موضع شك وارتياب ، فكان لا بد له من أن (يستند الى نظرية العقل الفعال ويستعين بها لدعم منزلة الفلسفة بالاستناد الى رأيه في الدين ، ذلك أن (الفارابي) يعتنق مبدأ الفيض ويرى ان الله ، واجب الوجود ، مصدر كل كون ، وعن وجوده الواجب يفيض أولا وجود هو عينه أحدى الذات ، ويسمي العقل الاول او العقل المفارق الاول ، وهو ممكن الوجود بذاته ، واجب الوجود بالله ، وعن العقل الاول ، باعتبار انه واجب الوجود بغيره ، اي بـ (الاول) ، يفيض عقل ثان ، ثم ثالث .. وهكذا حتى العقل العاشر .. وتتولد في سياق هذا الفيض العقلي الموصول اجرام الكواكب ثم أجسام الطبيعة على وجه الارض ،ويأتي دور الجماد فالنبات فالحيوان فالانسان، ويتميز الانسان عن سائر الكائنات المخلوقة بأنه يتوق الى الرجوع الى مصدره ليتحد بالله ، وذلك حين يتسامى عن المادة والشهوات ، ويسلك واحدا من سبيلي الشريعة والفلسفة ، فبالفضائل والايمان يرقى عن طريق الشريعة الى مرتبة الاشراق فالاتصال ، او أنه يبلغ هذه المرتبة عن طريق العلم والصعود بالفلسفة الى المبادىء ، العقلية الاولى ، ويبلغ عالم العقول المفارقة ، ويتأهب لتلقي الفيض والالهام من العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال ، وعن هذا الطريق يحصل له القرب والكمال ، ويستمد على هذا النحو العلم والمعرفة من الله بالطريق الطبيعي ، أما الشريعة فمردها الى الوحي ، والوحي يهبط من الله على النبي عن طريق (جبريل) وان نفس النبي تحقق الاتصال بالعقل الفعال عن طريق المخيلة والالهام ،فضلا

عن طريق التأمل العقلي ، لأن النبي بشر منح مخيلة عظيمة تمكنه من الوقوف على الالهامات السماوية في مختلف الظروف والاوقات (وبذلك) تتفق الشريعة مع الفلسفة في جوهرهما واصلهما (٧) .

كما أن هناك وجهة نظر أخرى جعلت الفارابي يبدع هذه النظرية - نظرية الفيض- وهي وجهة نظره الى الله وعلاقته بالكائنات المادية ، وهو واحد فكيف صدرت عنه الكثرة دون ان يفقد وحدانيته ؟ وهل صدرت عن الكائنات في زمان ام هي قديمة بقدمه ؟

ما هو الفيض ؟

(لقد اضطربت أقوال الفلاسفة في ايضاح ماهية الفيض ، اما الفارابي فقد استطاع ان يحدد الفيض بطريقة عقلية وذلك بقوله ان الله يعقل ذاته وان العالم صدر عن علمه بذاته ، وبأنه مبدأ النظام الخير في الوجود على ما يجب ان يكون عليه . فاذا علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه) .

يكفي اذن أن يعلم الله شيئا حتى يوجد هذا الشيء ، لأن علم الله هو علم بالفعل ، ويكفي ان يعلم الله ذاته التي هي علة الكون لكي يكون الكون . فليس اذن في صدور الموجودات عن الله حركة أو آلة ، لأن الفيض عملية عقلية ، وهذا الوجود لا يفيد الله كمالا لأن الله ليس بحاجة اليه .

أما عن طريق الفيض فقد آثبت الفارابي أن (اللازم عن الاول يجب ان يكون احدي الذات ، لأن الاول احدي الذات من كل جهة ويقتضي الواحد من كل جهة واحدا ، ويجب ان يكون هذا الاحدي الذات أمرا مفارقا) (٨)

وقد آثبت الفارابي ايضا ان (في تعقل الله والعقول قوة الفيض والخلق ، ويكفي أن نعقل شيئا حتى تتحرك قوى الجسم لانجازه وعمله . وهذا الموجود الاول الصادر عن ذات الله هو العقل الاول وهو ممكن الوجود بذاته واجب الوجود بالكائن الاول أي الله)(٩)

هكذا بنى الفارابي نظرية الفيض ونظام الكون ، محاولا دمج النظريات القديمة . واذا حق لنا التشبيه فاننا نقول ان نظرية الفيض تتلخص في ان نتصور نبعا متدفق الماء لاينضب ..فاذا امتلأت الحفرة المحيطة ، المحتضنة للنبع فان النبع يفيض من ذاته ماء كثيرا .. يسيل من غير أن ينقص النبع او يتأثر بالماء الذي يفيض منه ، لأنه هو العطاء بذاته .. وعنه تصدر كل العطاءات مهما علت أو غلت .

المدينة الفاضلة :

ان الانسان مفطور على الحاجة للاجتماع لأنه قاصر عن تلبية حاجاته بنفسه ، والغاية من اجتماعه بالاخرين هي التعاون من اجل حياة سعيدة ، ولا يمكن ان يتحقق الا في مدينة فاضلة وأمة فاضلة ، فـ (الامة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هي الامة الفاضلة) .

وكذلك فان المدينة لا بد ان تكون على نمط الامة التي يرسمها في ص ٨٧ من كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة (فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة والاجتماع الذي يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل ، والامة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هي الامة الفاضلة ، وكذلك المعمورة الفاضلة انما تكون اذا كانت الامة التي فيها يتعاونون على بلوغ السعادة .

ونحن ، عندما نقرأ تفنيد الفارابي للمجتمع الفاضل ، والحاجة عليه ، نحس أن هذا الرجل الفيلسوف يعيش بيننا ، يشاركنا همومنا وآمالنا ، ويشتاق كما نشتاق ، فالحياة في سلام وحب وطمأنينة هي من شعارات الامم الحديثة ، ونراه في بعض الاحيان يقرب ، ويوضح مفهوم المدينة الفاضلة لسواد الناس فيقول : (والمدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح ، الذي تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها .. وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب ، وأعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيس ، وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس ، وأعضاء آخر فيها قوى تفعل أفعالها على حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة فهذه في المرتبة الثانية ،وأعضاء آخر تفعل الافعال على حسب غرض هؤلاء الذين في المرتبة الثانية ، ثم هكذا الى أن تنتهي الى أعضاء تخدم ولا تروس أصلا ، وكذلك المدينة أجزاؤها مختلفة الفطرة

متفاضلة الهيئات ، وفيها انسان هو الرئيس ، وآخر يقرب مراتبها من الرئيس ..) (١٠)

ثم بعدها نجده يفتش عن الروابط الاجتماعية في الصفحات من ١٠٩ وحتى ١١١ فنذكر منها :

* بأن يكون الذي يحتاج الى مؤازرين يقهر قوما فيستعبدهم ثم يقهر بهم آخرين فيستعبدهم أيضا .
* الاشتراك في التناسل ، (يعني أن يكونوا أقرباء) .
* الايمان والتحالف والتعاهد على ما يعطيه كل انسان من نفسه ولا ينافي في الباقين ولايخاذلهم .
* تشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشتراك في اللغة واللسان .
* الاشتراك في الصقع .. وغيره .

ثم يتطرق في كتاب (السياسات المدنية) لمضادات المدينة الفاضلة ، تلك المدن التيلا يمكن ان تسير الى خير الانسانية ولا الى سلامها او طمأنينتها ، فهناك مدينة جاهلة ، ومدينة بدالة ، ومدينة الخسة والشقوة ، ومدينةالكرامة ، ومدينة التغلب ، ومدينة جماعية ، ومدينة متبدلة ، ومدينة ضالة ، ومدينة فاسقة .

وبعد هذا كله ، من هو رئيس المدينة الفاضلة ؟ ؟

انه (ليس يمكن ان يكون اي انسان اتفق ، لأن الرئاسة انما تكون بشيئين ، أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معدا لها ، والثاني بالملكة والهيئة الارادية) (١١) .

ثم ان الدرجة التي تؤهل الفرد ليكون رئيسا للمدينة هي اثنتا عشرة خصلة فطر عليها ، وان خلت المدينة من رجل واحد بهذه الخصال فلا بأس أن نفتش عن عدة أشخاص تجتمع فيهم الخصال واذا (لم يتفق ان يوجد حكيم تضاف اليه لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك) (١٢)

ويذكر تاريخ الفلسفة العربية للجر وفاخوري ص ٤٢٤ أن (الفارابي فيلسوف نظري بعيد عن الواقع ، يعتبر أن من اتصل بالعقل الفعال حصلت له الكفايات اللازمة لا لقيادة المدينة فحسب ، بل لتعليم أهلها وقيادتها ، في الطريق التي تؤمن لهم السعادة القصوى) .

كما لا بد لنا من أن نورد رأي ابراهيم الجزيني في تعليقه على مثالية الفارابي في مدينته الفاضلة ص ٢١ :

آ - لم يستوح الفارابي سياسته من وقائع السياسة العملية بل استوحاها من كتاب الجمهورية لأفلاطون .. والمعروف أن أفلاطون كان مثاليا في جمهوريته .

ب - ان سياسة الفارابي ما هي الاتطبيق لفلسفته وهذه الاخيرة تجعل من العقل الفعال محور كل فلسفة مثالية وخيالية الى حد ما .

ج - أخطأ الفارابي عندما ظن أن نظاما سياسيا واحدا يمكن تطبيقه على جميع العصور وعلى جميع المجتمعات ، أي أنه لم يأخذ بعين الاعتبار تطور هذه المجتمعات وحاجاتها المختلفة .

د - أراد الفارابي من أبناء المدينة الفاضلة ان يكونوا عقولا بلا عاطفة ، فلا طمع ولا حسد ولا احتيال بل خدمة مجردة وقناعة دائمة وصدق واخلاص في كل شيء ، وهذه المخلوقات عقلية وليست مخلوقات بشرية .

هـ - من المستحيل أن نحصل على رئيس عقلاني بحت ودون أن يتسرب الى نفسه شيء من الميول البشرية العاطفية وهذا أمر محال .

و - لم يعتن الفارابي بوضع نصوص قوآنين واضحة لمدينته ، وظن ان وجود الرئيس الفاضل يكفي لتنظيم السياسة تنظيما مثاليا عادلا) .

آراء في الفارابي

* الفارابي أكبر فلاسفة المسلمين على الاطلاق ..

ابن خلكان

* هذا الرجل أفهم فلاسفة الاسلاك وأذكرهم للعلوم القديمة ، وهو الفيلسوف فيها لا غير ...

ابن سبعين

* أول مفكر مسلم كان فيلسوفا بكل ما للكلمة من معنى .

مسينون

* ونحن اذا نكون في صحبة الفارابي فانما نكون مع رجل ذي أصالة أصيلة في الفكر الفلسفي ..

د. زكي نجيب محمود

* للفارابي فضل كبير على الفلسفة العربية لأنه هو أول من عنى بشرح الكتب الارسطية ، وعلق عليها فأتت نموذجا للذين أتوا بعده ، وخاصة ما تركه من أثر على الشيخ الرئيس ابن سينا ..

ابراهيم جزيني

هوامش

(١): الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون الالهي وارسطاطاليس .

(٢): آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٩و١٠

(٣): و (٤): جروفاخوري ،تاريخ الفلسفة العربية .

(٤): سعيد زايد ، الفارابي .

(٥): آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١١ ، شرح ابراهيم جزيني .

(٦): الكلام والفلسفة ـ د . عادل العوا

(٧): رسالة في اثبات المفارقات .

(٨): تاريخ الفلسفة العربية ـ فاخوري وجر ٣٩٠ ـ ٣٩١

(٩) : آراء .. ص ٧٨ و ٧٩

(١٠) : ص ٨٢

(١١): ص ٩٠

حافظ ابراهيم

على سجيته

خليل مردم بك

قال لي حافظ : سنراك في الاسكندرية قريبا ولعل ذلك يكون في العيد . لقد وفى بما قال ، فزار

الاسكندرية ومعه حسين الحسيني في عيد الفطر سنة ١٣٤٤ منتصف نيسان سنة ١٩٢٦ ، فقضينا معه نهارا بطوله ووصلنا به ليلة طويلة ، وكان حافظ في هذه النوبة مرسلا نفسه على سجيتها في كل مايقول ، وكثيرا ما يؤثر الدعابة على الجد ويرتاح لايراد النكت والفكاهات البلدية مهما يكن نوع الحديث .

كان الموعد ان نجتمع في الصباح بقهوة نلسون، فلما أقبلت عليه قال لي :

خشيت ألا تهتدي الى المكان ، وان يلتبس عليك نلسون بولسون ، فاللفظان متقاربان ، على ان أحدهما قائد الاسطول الانكليزي والاخر الرئيس الاميركي .

ثم قال : قل لي هل أفطرت ؟ فأنا لم أفطر بعد ، وسأطلب فطورا لي ولك ،

قلت : شكرا لك لقد أفطرت . قال ماذا أكلت ؟ قلت الخبز والجبن ، قال هل كنت في القسم (١) فهذا أكل رجال البوليس ، ما أعجب شأنكم يا أهل الشام ، تبلون شريدكم بماء الحمص بدلا من ماء اللحم وترشون على وجهه حبات الحمص بدلا من اللحم ، أهكذا يكون الشريد ؟ لست أدري اتأكلون مثل هذا الطعام تقشفا وزهدا ام على سبيل الحمية ؟

والتفت يمنة فقال : أتريد أن تعرف رجلا لم يأكل ولم ينم منذ ثلاثين سنة ؟

هذا هو انه مقبل علينا ، فلما قرب قال له : أين كنت يا أستاذ؟ أكنت تأكل ؟ فقال : لا والله ما أكلت (ش) قال اذن كنت نائما ، فقال : لا والله مانمت (ش) قال لي أرأيت ؟ هذا الشيخ عبد العزيز البشري صديقي منذ ثلاثين سنة ، لم أره مرة – وما اكثر ما اراه – الا قال لي ما أكلت (ش) ولا نمت (ش) ثم التفت اليه وقال سأطلب لك فطورا ، قال ما تشتهي نفسي الطعام ، قال ماذا وصف لك الاطباء ؟ قال وصفوا لي من المقبلات فراخ الطير ، وتأبى نفسي ان افجع امهات الطير بفراخها فضلا عن ايلام الفراخ

بالذبح لكي أشحذ شهوتي الى الطعام ، فما أقسى الانسان وما أشد ظلمه ، فقال حافظ : اذا عجز الاطباء عن علاجك ، أما في الحي عندكم واحدة من أولئك العجائز اللواتي عندهن لكل داء دواء ؟
فقال البشري عندنا عجوز في صدرها دائرة معارف ، تجيب قبل السؤال، وتعالج جميع الامراض ، وتسفه الاطباء وتنكر عليهم علمهم ومعرفتهم ، ولم يبق علي الا ان اذهب اليها ، وسأله حافظ عن ولديه فقال : هما بخير والحمد لله ويا ليتهما لم يأتيا الى هذه الحياة التي كلها آلام ،وأنا الجاني عليهما ، فقال له حافظ : هون عليك فالحياة أهون من ان يهتم لها الانسان ، رحم الله محمد البابلي فقد كان يسخر من الخطوب ولا يأسى على مافاته او خسره من عرض الدنيا ، أعسر مرة فاستدان مبلغا من المال ورهن ملكا له عند الدائن ثم باع الملك ، فسمعته يروي حديثا موضوعا في هذا الشأن وكثيرا ماكان يضع الاحاديث على سبيل التظرف - فيقول : " خيركم من رهن ثم باع " قلت له ولماذا؟ قال لانه يقبض الثمن مرتين ، هذا الرجل الذكي الالمعي المتوقد الذهن الوفي الذي كان حديثه بهجة النفوس ونزهة الخواطر ، انكره المصريون يوم وفاته فلم يشيع جنازته غير بضعة اشخاص ، لم أر بلدا أقل وفاء واكثر هضمالحقوق رجاله من مصر .
وسكت حافظ متأثرا فاغتنم هذه الفرصة حسين الجسيني وقال لي : الاستاذ البشري صاحب مقالات (في المرآة) التي تنشر في (السياسة الاسبوعية) ، فأسرع البشري وقال بلهجة المستغني عن التقريظ والثناء : بعضها بعضها.

ثم التفت الي حافظ وقال : متى ضرب الافرنسيون دمشق ؟ قلت في تشرين الاول سنة ١٩٢٥ فقال : لا مؤاخذة اذا قلت لك ترجم فلقد نسينا نحن في مصر اسماء الاشهر المعربة وأضعنا استعمال الحساب العربي وأصبحنا لا نعرف الاشهر الا بالاسماء الافرنجية ، فنقول ابريل ومايو ويونيو وهكذا ..
وهذا مما يؤسف له ، ولكن دعنا من مسألة الحساب الان وخبرني عن غرام السوريين بالثورات ، بالامس ثرتم على الاتراك فأنكر عليكم المصريون ذلك وعدوا عملكم ضربا من الخيانة ، أما أنا فقدعذرتكم لأن التركي في حكمه لا يطاق "عشرة وأنا سيدك" ! هكذا هو ، وأنا أتغاظ (اغتاظ) من الاتراك لهذا الصلف العجيب .. وما كدتم تتخلصون من الاتراك حتى ابتليتم بالافرنسيين وهم أدهى وامر ، ، جمعوا الى الصلف الغرور والى الانانية الحمق والى القسوة الظلم وهم أشد الناس خفة وطيشا وأكاد أقول جنونا ، ولعل الله ابتلاكم بهم لمشابهتهم لكم من بعض الوجوه على ان الشامي معروف عندالمصريين بالبرودة فيقال برد شامي ،

ولقد رأيت مرة بعض اصحابي مع شامي فقلت له ما الجامع بينكما؟ فقال : أتبرد ببرودته ، ولا شك في أن أقوى الشعوب اليوم في العالم ثلاثة وهم الانكليزوالالمان والافرنسيون ، ولي فيهم قول مأثور صنفهم ووصفهم وصفا صادقا يصور على ايجازه كلا منهم في نفسه وفي حكمه لغيره :
فالانكليزي يعلم ويرحم ، والالماني يعلم ولا يرحم ، والافرنسي لايعلم ولا يرحم .
اما نحن وأنتم وبقية

المسلمين فصائمون دايخون نائمون أضعنا ما بأيدينا ولا نكاد نعلم من أمور الدنيا شيئا ، لقد خسرنا الدنيا ونطمع بالجنة في الاخرة ، وأخشى – إن تحقق آملنا – أن نحتاج للاوربيين حتى في الجنة ، لانه لو طرأ عطل هناك على شيء من أدوات الترف والنعيم ، لما كان بين المسلمين من يقوم باصلاحه ، ولاحتاجوا الى استدعاء بعض الاوربيين من النار .

وانتقلنا من قهوة نلسون الى مطعم على البحر ، وروى حافظ آنذاك خبرا غريبا قال :لما كان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده في باريز زارهما أمير عربي ، وذكر لهما ان ابراهيم بك المويلحي حصل على وثائق من عنده بحيلة ، وفي هذه الوثائق مايغضب فرنسة على الامير ، وان المويلحي أنذره بأنه اذا لم يدفع له ألف ليرة ذهبا سيسلم الوثائق الى الحكومة الافرنسية ، وذكر الامير أنه في ضيق لا يملك هذا المبلغ من المال ، ورجا منهما أن ينجياه من شر المويلحي ، فاستشاط السيد جمال الدين غضبا ، وكان حاد المزاج ، وقال : ينبغي زجر المويلحي وتأديبه واسترداد الوثائق منه ، فقال الشيخ محمد عبده : لا فائدة من أخذه بالشدة بل ربما كان في الشدة ضرر ، فدع هذا الامر الي لعلي أتمكن بالرفق واللين والحيلة من استرداد الوثائق ، وبعد أيام زار الشيخ محمدعبده ابراهيم بك المويلحي في الغرفة التي هو نازل فيها وتكررت الزيارات بينهما حتى أنست صاحبة الدار بالشيخ ، فجاء يوما ولم يكن المويلحي في الدار ، ففتحت له الغرفة وتركته وحده ، فأخذ الوثائق وقعد قليلا ثم خرج

وأسرع بها الى صاحبها الامير ، فلما علم المويلحي بالامر جن جنونه وذهب الى الشيخ وقال له : ان ما فعلته يا استاذ خلاف الامانة ، فضحك الشيخ وقال له : والذي فعلته أنت ما هو ؟ أمانة ؟
قال حافظ : رحم الله الشيخ فقد مليء علما وعقلا ومروءة ، وقد فقدت مصر بوفاته ركناعظيما ، وكأنما الشاعر عناه ساعة دفنه بقوله :

قط خططنا للمعالي مضجعا
ودفنا الدين والدنيا معا

وكان المطعم مزدحما جدا ، فلم نكد نفرغ من الطعام حتى غادرناه وركبنا عربة قاصدين قهوة نجلس بها بعد الطعام ،فلما نزلنا من العربة وقف حافظابراهيم وسلم على رجل من عامة الناس قصير القامة مكتنز الجسم زري الملبس وصافحه وهز يده طويلا وهش له ، فقال له الرجل القصير: أنت نسيت أصحابك يا حافظ بك فأجابه : لا والله ولكن اين أراك ؟ فقال له : أسأل عني ترني ..
فودعه ضاحكا ، ثم دخلنا قهوة صغيرة وأقبل بعد قليل بهي الدين بك بركات وقعد بجانب حافظ ابراهيم ، وجاء خادم القهوة ووجه الكلام لحافظ واحتفى به ، وسأله عما يريد من المشروب ، .
فقال له حافظ مالك تحتفي بي هل تعرفني ؟
قال : كيف لا اعرفك ، أنت شاعر مصر الكبير ، قال حافظ : يعني العجوز .
قال : لا والله ما قصدت هذا ، فسر حافظ بذلك وضحك .
ونشأت في السماء سحابة

وسقطت منها قطرات من المطر ، فرفع حافظ بصره الى السماء، وقال : يعجبني قول الشاعر في مثل هذه الحال يعني سقوط المطر غير المنتظر :

علي والا ما بكاء الغمائم
وفي والا مانواح الحمائم
وعني أثار الرعد صرخة طالب
بثأر وهز البرق صفحة صارم

وردد الشطر الاول غير مرة وقال : اذا كان المطر في غير وقته فما هو الا بكاء الغمائم عليه وعلى أمثاله من الشعراء .

ثم قال : والشيء بالشيء يذكر وان كان لادنى ملابسه ، يعجبني قول شاعر عامي في مطر شديدمستمر وفيه دعابة ونكتة :

أقلعي بالله عنهم وارحميهم ياسما
ما هم من قوم نوح انهم من قوم لوط

وكان يردده مخاطبا السماء ويضحك :

وهيجت هذه اللمحات من الشعر حديث الشعر في نفسه فقال : جاءني وأنا في شبابي رجل من دعاة الشيخ ابي الهدى الصيادي ، وزين لي أن أذهب الى استانبول بقصيدة أمدح بها الشيخ وأكون ضيفا عليه وأكون شاعره ، ومناني كل ماتصبو اليه النفس من عرض الدنيا ، وبقيت مدة بين المقدم والمحجم وكدت أجيب الدعوة ، ثم انصرفت نفسي عن الاجابة فاعتذرت ، وأحمد الله على أنني لم أسلك ذلك المسلك ، ولو فعلت لكنت مثل غيري من الشعراء المداحين الذين كانوا يتهافتون على ابواب الملوك والامراء والرؤساء واذا سئل عنهم قيل من في الباب من الشعراء ، كأنهم من الخدم، ولما أتيح لي أن إعنى بالشعر الاجتماعي وأشارك في نقل الشعر من الهزل الى الجد ومن المواضيع التافهة الى المواضيع ذات البال .

وعلى ذكر الشعر قال : دعيت مرة لانشاد قصيدة من شعري في حفلة جامعة ، فلما إكتمل الجمع وصعدت المنبر وشخص الناس بأبصارهم الي وحبسوا أنفاسهم مصغين منتظرين ما سأقول ، أنشدت البيت الاول من القصيدة كأحسن ما ينشد شاعر ، ويظهر انه كان بجانب مكان الحفلة اصطبل فنهق فيه حمار نهيقا منكرا تردد صداه في قاعة الحفلة ، فقطعت الانشاد حتى سكت الحمار ، فضحك الناس ، ولما عدت الى الانشاد عاد الحمار الى النهيق ، فقلت للحاضرين : اما انا او هو ، فضج الناس بالضحك والتصفيق ، فقلت لهم : أنا جاد ولست بهازل ، لئن لم تسكتوه لأتركن المنبر ، ولما أقصي عن المكان أتممت انشاد القصيدة .

ولم يكن يتم هذه الفكاهة حتى نهض وكان الوقت بعد الغروب بقليل .

والذي لاحظته ان بهي الدين بركات منذ جاء الى ان انصرف ظل ساكتا سكوتا طويلا .

وتركنا هذه القهوة وذهبنا لنتعشى في دار الدكتور احمد فدري اجابة لدعوته ، فلمابلغناها بالغ صاحب الدار بالحفاوة بحافظ ابراهيم ، فكان يقول له عقب كل كلمة يقولها حافظ: أمرك سيدي ، تأمر ، مرني بما تشاء ، فلماطال ذلك على حافظ قال له على سبيل الدعابة : آمرك أن تسكت ، ماهذه المبالغة في الحفاوة ؟ قال : لان الله اختصك بموهبة لا يختص بهاالا القليل النادر من عباده هي موهبة الشعر ، فقال حافظ : اسكت يا شيخ أنت عالم ، ثم قال :

سأختبر علمه في الطب ، فان جعل ناقتي تسير بي نحو المنزل الخالي شهدت له بالحذق .

وبعد قليل قدم للحاضرين ما يقدم عادة قبل الطعام من المقبلات ، فتناول حافظ كأسا جرع منها جرعة أغمض منها عينيه والتهم شيئا من النقل يمسح به حرافة الجرعة ، وكانت التي تقدم المقبلات فتاة تركية وسيمة ، فأشار اليها بعض الحاضرين أن تجور على حافظ ابراهيم بمعاطاة الكؤوس ، فكانت تقدم له الكأس تلو الاخرى ، تعطيه الملأى وتأخذ الفارغة ، فقال لها بس ، فقيل له انها لا تفهم العربية وتظاهرت هي بأنها لم تفهم ما قال فقال لها : (نورد) والتفت الى الحاضرين وقال : لقد كلمتها بالتركية ، وهل التركية غير (در ودن وده) وما الى ذلك من الادوات ، و (   ) اصبحت تركية بعد أن ذنبت بـ (در) .

ثم قال لي أنشدني شيئا من شعرك ، قلت : لا أعتني بحفظ شعري قال ، أذكرتني بقولك هذا قصة سأقصها عليك ، لما كنت في المدرسة اتفق أن جاء مفتش ونحن في درس اللغة الفرنسية وبدأ يختبر معرفة التلاميذ لها فاستدعاني اليه وقال لي :

فأشرت اليه برأسي (لا) فقال لي: ولا (   ) ياشاطر ، أتريد أن تعمل مثلي لست بتاركك، ولك علي أن أجهر لك برأيي من غير مواربة ، فقرأت له قصيدة عنوانها (شهيد ايرلندة) اولها :

أبي رق الحياة فمات حرا

وأبلغ نفسه في ذاك عذرا

فقال بعد ان سمع البيت الاول " طيب يا واد " وكرر هذه الجملة عقب كثير من أبيات القصيدة فلما انتهيت قال اسمع : " لن تكون كالمتنبي ولكنك كالبحتري " . فشكرته وحملت ماقاله على المبالغة في المجاملة .

وكأنما تنبه في نفسه حديث الشعر والادب ، فذكر كتاب الاغاني وقرظ طبعته الجديدة وقد صدر منها الجزء الاول ، وقال لا ادري، متى ينتهي طبع بقية الاجزاء فانا في دار الكتب ندقق في تحقيق الاصل وتصحيحه وقد تبقى حروف الملزمة مصفوفة في المطبعة شهرا او اكثر لانه اذا توقف المصححون في دار الكتب بشيء عرضوه على أهل العلم الثقات كأحمد تيمور باشا وأضرابه .

وذكر احمد بن يوسف الكاتب واثنى على كتابه (المكافأة) وقال : لقد استظهرت كثيرا من كتاب المكافأة .

وذكر الجاحظ وأثنى عليه كثيرا وقال : انه بليغ هذه الامة وأحسن البلغاء بيانا ، فضلا عن سعة العلم ورجاحة العقل وخفة الروح ، وروى عن الجاحظ هذه الحادثة قال : " وضعت حلقة من حديد في النار حتى صارت حمراء ، ثم ألقيتها على الارض ووضعت في وسطها نملة ، ووقفت أنظر ماتصنع النملة ، فمشت النملة الى جهة الشرق فلما أحست بوهج النار انكفأت الى جهة الغرب فلما أحست أيضا بحر النار عادت وقصدت إلى كل جهة من جهات الحلقة فلما لم تجد مخرجا وقفت في أبعد مسافة عن النار " قال حافظ فانظر الى الجاحظ كيف عبر عن مركز الدائرة الذي لم يكن معروفا وقتئذ بأبعد مسافة .

وأورد من دعاباته وفكاهاته مايلي قال: سأل بعض الناس الجاحظ ان يعطيه كتاب توصية الى بعض

العمال ، فدفع الجاحظ اليه كتابا مختوما ، وبدا لهذا السائل أن يفض الكتاب فاذا فيه : " هذا الكتاب مع من لا أعرفه ، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه ، فان قضيت حاجته لم أحمدك ، وان رددته لم أذممك"

فلما سئل عن ذلك قال هذه علامة بيني وبين الرجل ، فقال المكتوب لاجله : أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة الاف .. وأم من

فقال المكتوب لاجله : أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف .. وام من يسأله حاجة . فلما استنكر منه ذلك قال : هذه علامتي فيمن أشكره فضحك الجاحظ ، كان حافظ يروي هذه القصة بفمه وبيديه معا ويغرب في الضحك .

وانتقل الى الكلام عن سعد باشا زغلول واستقلاله بعظائم الامور ،وقيامه بالشؤون الهامة في الحزب والحكومة ومجلس النواب حتى اذا ذلل الصعاب ولم يبق غير الامور اليسيرة ترك كرسي الرياسة واستدعى نائبه فقال " تعال يا نحاس " قال حافظ ذلك وقام من كرسيه نصف قيام محاكاة وتمثيلا لسعد .

وسألني عن الاستاذ محمدكرد علي فقلت له : انه بخير ويذكرك بالخير فقال : هذا رجل عظيم .

ثم سألني عن الشيخ فؤاد الخطيب وقال : انه شاعر، فمد الالف ووقف على الراء بقوة .

وكأنما استبطأ الدعوة الى المائدة فقال :

قد جن أصحابك من جوعهم

فاقرأ عليهم سورة المائدة

ثم قمنا الى المائدة فبدأ يهدر بكلامه هدرا وألهاه الكلام عن الطعام وتندر على المصريين والشاميين ، قال : للمصري فهم عجيب ومنطق اعجب ، وقف مرة فلاح مصري امام قاض في المحكمة ، فسأله القاضي الاسئلة المعتادة عن الاسم والسن والحال والصنعة والبلد ، فكان جوابه عن سنه " سنة زرع أفندينا القطن فزاده القاضي سؤالا وقال " متزوج أنت أم اعزب " فقال : "نعم يا افندم متزوج مَرَة " فنهره القاضي وقال ماهذا الكلام الفارغ ، وهل يتزوج احد غير امرأة ؟ فقال " نعم ... أختي .. أختي متزوجة راجل "

وحملق في وجه القاضي كمن أفام الحجة الدامغة ، وكان حافظ يغرق في الضحك من جواب المصري ويقول أجاب جوابا لا يرد .

وقال : أراد ان يسافر فلاح مصري من قريته الى القاهرة ، فجاء الى المحطة وسأل قاطع التذاكر عن الاجرة ، فذكر له تفاوت الاجرة باختلاف الدرجات ، وزيادة في الايضاح قال له : يعني فوق أغلى من تحت ، وتحت أرحص من فوق .

فقال له الفلاح : احفر لي أسفل من تحت وخذ مني أرخص ، ثم قال: لا تظن ان الشامي يقصر عن المصري في هذا الباب ولعله يفوقه ،اسمع هذه القصة : جاء مرة رجل شامي الى الاسكندرية في طريقه الى القاهرة ، فركب القطار من الاسكندرية ومعه عباءته وخرجه ، فسار القطار ولما وقف في المحطة الاولى بسيدي بشر ، ثار الشامي من مكانه وعلى كتفيه العباءة والخرج وهم بالنزول وسأل حارس القطار : وصلنا مصر سيدي ؟

فأجابه : كلا اين انت من مصر عد الى مكانك .. وكان كلما وقف

القطار على محطة فعل الشامي ما فعله في محطة سيدي بشر ، فلما ضاق به الحارس قال له : مالك يا

أخي ، اقعد فيمكانك ، هل مللت من الركوب ؟ فقال له الشامي : اي والله سيدي مللت أريد ان اصل الى مصر ، فقال له الحارس : اذا كنت مللت ولم تمض عليك ساعات في القطار ، فماذا اقول أنا انا في هذا القطار من ثلاثين سنة ففتح الشامي فمه وجحظت عيناه وقال للحارس : " من اي محطة انت راكب سيدي " ؟

والتفت يمنة ويسرة ونظر تجاهه فوجد القاعدين مشغولين بالطعام ، فرفع بصره الى الفتاة التركية الواقفة على المائدة ، وقال لها : (بو - وأشار الى القاعد عن يمينه - غيبوبت ، وبو - وأشار الى القاعد عن شماله - غباوت ، والضيف - وأشار الى نفسه - ضايع در) فعج الحاضرون بالضحك وقالوا له : ختمت اللغة التركية ، وغلب على الفتاة الضحك حتى كاد ينزلق صحن الطعام من بين يديها على كتفيه ، فقال قلت لها اطعميني ولم أقل لها اطعمي ثيابي ، وصبت له في كأسه ماء فظنه من الاشربة الحارة فقال له : أنا مسلم (١) صيني لا اشرب غير الماء والاشربة الحلوة .

وكان الليل قد مضى أكثره فانصرف الحاضرون ولسان حالهم ينشد :

نود ان سواد الليل دام لنا
وزيد فيه سواد القلب والبصر

* *

ذيل
(في ما روي لي من أخبار حافظ ابراهيم ولطائفه)

حدثني حسين الحسيني قال : حافظ ابراهيم عصبي المزاج يكره الحلاقة ولا يصبر على الحلاق وعمل أدواته في الشعر ولا سيما المقص منها ، ولا يكاد يذهب الى الحلاق الا اضطرارا ، وقع يوما بحكم الاضطرار بين يدي حلاق ، فأعمل برأسه المكنة والمقص والموس ثم انحاز الى قفاه وبدأ مقصه يجول ويسقسق علوا وسفلا ، وطال الامر على حافظ ابراهيم ، فقال له : متى تنتهي ؟ قال لم يبق الا جهة الشمال ، فنهض حافظ ونزع الفوطة من عنقه واتجه نحو الباب وهو يقول : نكتفي الان بجهة اليمين وفي المرة الآتية تكمل الباقي في جهة الشمال .

وقال : المشهور عن حافظ انه جواد كريم ، والواقع كذلك وليس للمال قيمة في عينه ، سهر مرة في القاهرة يلعب الطاولة مع اصدقائه ، فلما طال أمد اللعب نبهه بعض الحاضرين الى ان آخر قطار يسير من القاهرة الى حلوان " حيث يسكن حافظ " قد دنا وقته ، فلم يلتفت اليه حافظ حتى اذا انتهى من اللعب بعد فوات وقت القطار طلب الى الشركة ان تجهز له قطارا خاصا من القاهرة الى حلوان ، وكان الامر كذلك ودفع الاجرة الضخمة المعينة لمثل هذه الحال .

وقال : سألته مرة كيف ينظم الشعر وكم بيتا يقدر ان ينظم في اليوم ، فقال : ليس هناك قاعدة ثابتة ، فقد تمضي الايام ولا أجد نفسي تنشط لقول الشعر ، وقد يستعصي علي اذا طلبته في مثل هذه الحال فلا أقدر على نظم بيت واحد ارتضيه ولو حاولته طول يومي ، اما اذا ارتاحت نفسي الى الشعر ، وكان الباعث عليه يلائم هواي فأقول الابيات في اليوم الواحد من غير كد ولا جهد .

وقال : يظن بعض الناس ان حافظ ابراهيم من المولعين بالشراب ،

وليس كذلك ، وانما هو مولع بالسيكار وباجود انواعه ، ولو نفدت ذخيرته منه وقيل له ثمن كل واحد جنيه لاشتراه .

وقال : قال لي حافظ ابراهيم كان لاولى زلات الصبا التي كانت مني ، تأثير عجيب في نفسي فقد خشيت ان يعجل الله لي العذاب كأن يخسف بي الارض او يسقط علي كسفا من السماء ، وخيل الي أني اذا ظهرت بين الناس لم يخف عليهم ما اقترفت من الاثم ، فبقيت واجما ولزمت الدار مدة لا اخرج منها الا لامر لا بد منه ، فلما توالت الايام أطمعني حلم الله ورجاء عفوه .

وحدثني الشيخ فؤاد الخطيب قال : كانت قهوة سبلنددبار في القاهرة أشبه بندوة لكثير من الادباء

يجلسون بها في العشايا ويتناشدون الاشعار ، وكان رئيس القوم في تلك الندوة اسمعيل صبري باشا شيخ الشعراء المشهور بنفوذ بصره ورهافة سمعه وصحة ذوقه في نقد الشعر يعرض الشعراء عليه قصائدهم ومقطعاتهم ويسألونه رأيه فيها ، وكان حافظ يحضر تلك العشايا ويشيع فيها المرح بفكاهته ودعابته ، وحافظ مشهور بتثقيف شعره واعادة النظر فيه وعرضه على اخوانه والاصغاء الى مآخذهم عليه ، جاء ذات عشية وأنشد قصيدة سياسية رنانة في وداع اللورد كرومر واستقبال خلفه السير غورست مطلعها :

بنات الشعر بالنفحات جودي
فهذا يوم شاعرك المجيد

فاستحسنها اسمعيل صبري باشا وكان مما أخذه عليه بها لفظة (ارتفع) في قوله :

اذا ارتفع الصياح فلاتلمنا
فان الناس في جهد جهيد

قال وما أقول مكانها ؟ قال هذا ليس من شأني ، علي أن أنتقد وعليك ان تتلافى ، فقال حافظ : موعدنا عشية غد ، وجاء في الوقت المعين ووجهه يطفح بشرا وأنشد :

اذا اعلولى الصياح فلا تلمنا
فان الناس في جهد جهيد

فقال صبري باشا : أحسنت ماشئت ، فكان حافظ يكرره ويكاد يرقص طربا .

وقال الشيخ فؤاد : كنت ليلة وحافظ ابراهيم سائرين في أحد شوارع القاهرة ، فسمعنا وراءنا وقع حوافر خيل واذا بعربة فخمة تقف بجانبنا ، واذا بالراكب فيها السيد توفيق البكري ينادينا لنركب معه ، فقال له حافظ : الى أين ؟ قال الى الدار حيث نسمر معا هذه الليلة ، قال حافظ : رحم الله من قال (جوع واحاديث) نحن لم نتعش بعد ، فهل تعشيت أنت ؟ قال نعم وهذه خمسة جنيهات لعشائكما وسأسبقكما الى الدار ، فتعشيا في احد المطاعم ثم اقصداني في الدار فأنا بانتظاركما قال ذلك وذهب ، وبقيت مع حافظ واختلفنا أفي اي المطاعم نأكل فالمبلغ يخولنا ان نأكل في افخم المطاعم ثم نركب الى دار السيد البكري أفخم العربات ، وشرع حافظ يبذر في القهوة والمطعم بين ثمن المشروب والمأكول وحلوان الخدم وثمن السيكار .. وفكاهاته لا تنقضي الواحدة الا بأخف منها حتى لم يبق من المبلغ شيء حتى ولا اجرة عربة وكاد الليل ينتصف وبقي السيد البكري بانتظارنا وما أشك في أنه هجانا .

وقال الشيخ فؤاد : لحافظ

ابراهيم قصيدة طويلة في (عمر ابن الخطاب) هي أطول قصيدة قالها ، وهي من عيون شعره تشتمل على سيرة عمر اولها :

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها
اني الى ساحة الفاروق أهديها

وكان حافظ في سنة ١٩١٧ آخذا في نظيم هذه القصيدة لم يفرغ منها بعد ، وكنا كلما اجتمعنا اذ ذاك نركب عربة ويقول حافظ للسائق : اذهب بنا حيث شئت ولكن خلصنا من الضجيج ، ويبدأ حافظ ينشد هذه القصيدة من أولها الى المكان الذي انتهى اليه ، وكان من أحسن خلق الله انشادا للشعر ، فاذا أسرع السائق قال له حافظ " يا اسطه واحدة واحدة " يعني خفف السير .

وركبنا مرة وأخذ حافظ على عادته ينشد القصيدة ، وأسرع السائق بعد برهة فقال له يا اسطه واحدة واحدة " وتكرر ذلك عدة مرات فغمزت السائق في ظهره وقلت له أما تسمع ما يقوله لك ، فالتفت الي وأشار الى حافظ بعينه وفمه وكأنه يقول : هذا محشش وانت مالك ؟ فضحك حافظ طويلا .

وحدثني المرحوم عمر الفاخوري ، قال : لما زار حافظ بيروت ذهبت مع جماعة من الادباء في ضحوة من نهار للسلام عليه ، وكان كل واحد منا يذكر له اسمه حين يصافحه ، ولما انقضى وقت الزيارة نهضنا للانصراف فودع الجميع وطلب الي ان أبقى ، فسررت لايثاره لي على جميع من كان معي ، وتلاحق المسلمون عليه فكان كلما انصرف جماعة منهم استأذنه بالانصراف فيستبقيني ثم قال لي في آخر مرة هممت بالانصراف نتغدى معا يا استاذ ، فازداد سروري لهذه العناية الخاصة ، وبقيت معه وتركت عملي في الحكومة ذلك النهار ، وتغدينا معا وهو يرسل النكتة تلو النكتة ، ثم شربنا القهوة واستأذنته بالانصراف بعد ان شكرته بأساليب متعددة ، فوقف وقال لي : شرفت يا أستاذ ، آنست يا استاذ ، هل يمكنني ان اعرف الاسم الكريم ؟ فبهت وكدت أصعق ، وقلت في نفسي ، يدعوني ، ويعزم علي ، ويؤثرني على جميع من زاره ولا يعرف من أنا ، وغالبت نفسي وقلت له (عمر الفاخوري) فقال : أهلا وسهلا يا استاذ عمر ، وانا والله سعيد بلقائك ، ياليتني عرفتك قبل الان ، اذن لقل عتبي على الزمان ، أتدري لماذا احتفيت بك عن غير معرفة ؟ قلت لا ، قال اسمع اذن ، كنت اظن ان الله لم يخلق أقبح مني ، فلما رأيتك خاب والحمد لله ظني ، ووجدتك مثلي ان لم تكن اشد قبحا ، فكيف لا اكون سعيدا بلقائك ، فضحكت وضحك .

* *

خليل مردم بك